تحقق كل ذلك بإخلاص والده الجليل لله تعالى، والحرص على التدين الخالص والتقرب إلى الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح، فكان يشبع رغبته في الإخلاص واتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم بزيارة الحرمين الشريفين كل عام، بكل ما كان يقدر على ذلك.

وفي أواخر عمره أصيب بمرض العجز والضعف، وتقدم السن، زد إلى ذلك وقوعه على الأرض أثناء مشيه، وقد أدى ذلك إلى تكسر العظم الفخذي، رغم إجراء عملية ومعالجات متتابعة لم يكتب له البرء الكامل، فلبّى نداء ربه يوم الأربعاء ١٩/ من شهر رجب ١٤٣٢هـ المصادف٢٢/ من شهر يونيو ٢٠١١م.

كان شديد المواظبة على أداء الصلوات الخمس في المسجد مع الجماعة، وقد رأيته في ليال ممطرة شتوية مظلمة يتوجه إلى المسجد، في إحدى يديه عكازة وفي الأخرى مصباح فورما يسمع الأذان، وذلك في قرية لم تكن مزوّدة بوسائل الرفه والراحة.

تغمّده الله بواسع رحمته، وغفر له زلاته وتقصيراته وأكرم نزله في جنات ونعيم، وألهم أبناءه وأقاربه ومحبيه وأنصاره الصبر الجميل ﴿والعاقبة للمتقين﴾.

والدة فضيلة الشيخ محمد يعقوب الندوي في ذمة الله تعالى

فجأة قرع أسماعنا نبأ وفاة والدة الشيخ محمد يعقوب الندوي أحد أساتذة كلية اللغة العربية وآدابها التابعة لدار العلوم ندوة العلماء، وكانت رهينة الفراش منذ مدة، نظراً إلى تقدمها في السن، وضعف بنيتها الجسمانية، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

حدث ذلك عصر يوم الخميس في ٥/من شهر رجب عام ١٤٣٢هـ الموافق ٨/من شهر يونيو ٢٠١١م، ومع سماع خبر الحادث توجه إلى بيته طلبة دار العلوم وأساتذتها لأداء سنة التعزية .

وصلي عليها صباح اليوم التالي في رحاب دار العلوم، رحمها الله رحمة واسعة، وغفر لها، وأكرمها بالجنات والنعيم، وألهم أهلها وذويها بالصبر والسلوان.

قال الله تعالى : كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، وقد ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلا ث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ،أو ولد صالح يدعو له .

★★★

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٢٧٨٧٧١٠- ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
MOB.091-9415546882
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظ الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة:"البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٥٦ عاما بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها السا بع والخمسين- والحمد لله- ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، ولاسيما بعد تضاعف أجرة البريد فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم:

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

مكتب "البعث الإسلامي"مؤسسةالصحافة والنشر

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)

R. N. I. No. (U.P.ARA/2000/2541) Regd. No. LW-NP/642009 To 2011 Fax :91-522-2741221, 2741231

Vol: 57, Issue: 02 Monthly

September , 20

AL-BAAS-EL- ISLAMI

ARABIAN BOOK HOUSE

إعلان عن دار الكتاب العربي

(وكالة دار الفكر، بيروت بمالافورم، كيرالا (الهند)

رقم التسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	السعر
١	صحيح البخاري - مجلد جميل		٤٥٠
٢	سنن ابن ماجة - مجلد جميل		٣٢٥
٣	زاد المعاد - مجلد جميل ذو لونين	ابن قيم الجوزية	٤٠٠
٤	تاج العروس - أبيض ذو لونين ١-٢٠	الزبيدي	٥٠٠٠
٥	شرح شذور - الذهب أصفر	ابن هشام الأنصاري	٢٠٠
٦	جامع الدروس العربية - ذو لونين	مصطفى الغلاييني	٢٠٠
٧	تفسير الجلالين مع مصحف - أبيض	الإمام السيوطي	١٢٥
٨	أشعار الشعراء الستة الجاهليين	الشنتمري	١٢٥
٩	بداية المجتهد ونهاية المقتصد	الإمام القرطبي	٢٢٥
١٠	مغني اللبيب - جميل ذو لونين	ابن هشام	٣٢٥
١١	رسائلي الحديثة في كل المناسبات - إنكليزي - عربي		٥٠
١٢	الفقه الاسلامي وأدلته ١-١٦	د/وهبة الزحيلي	٤٥٠
١٣	معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم	الأصفهاني	١٥٠
١٤	أوجز المسالك أبيض ١-١٥	الكاندهلوي	٣٥٠٠
١٥	سنن الترمذي مجلد واحد، جميل ذو لونين		٣٢٥
١٦	حياة الصحابة مجلد واحد - جميل ذو لونين	الكاندهلوي	٢٥٠
١٧	مقدمة ابن خلدون - أبيض ذو لونين		٢٠٠
١٨	النحو الوافي ١-٤		٩٠٠
١٩	حاشية الخضري ١-٢		٣٥٠
٢٠	جواهر البلاغة، أبيض ذو لونين	السيد الهاشمي	١٢٥
٢١	حاذي الأرواح	ابن الجوزي	١١٠
٢٢	تنوير الحوالك، أبيض ذو لونين	جلال الدين السيوطي	١٧٥
٢٣	لسان العرب ١-١٥		٢٥٠
٢٤	التاج الجامع للأصول - أبيض ١-٥		١٠٠٠
٢٥	زاد المسير في علم التفسير أبيض ١-٩	ابن الجوزي	١٥٠٠
٢٦	قصص الأنبياء	ابن كثير	١٥٠
٢٧	المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح		١٧٥
٢٨	اللؤلؤ والمرجان، أبيض ذو لونين		١٧٥
٢٩	البرهان في علوم القرآن	الامام الزركشي	٧٥٠
٣٠	حلية الأولياء ١-١١	الأصفهاني	١٥٩٩

هذا على سبيل النموذج لما عندنا من كتب دار الفكر وغيرها، فنحن مستعدون لخدمة أهل العلم بما في وسعنا، كما نفيدكم: أن لدينا مجموعة طيبة من الكتب الدينية والأدبية، الثقافية، المستوردة من دول الخليج العربي، عنواننا:

ARABIAN BOOK HOUSE, KOTTAKKAL, MALAPURAM, KERALA
MOB.9946476748,8086848168, A/C 30955784451, SBI, KOTTAKKAL BRANCH
popular line@yaho.co.ine-mail:.abhkottakkal@yahoo.com,

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept.of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow, U.P.
Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

DESIGNED BY: HAMID, Mob: 9889654027,Lko

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

العدد الثالث: المجلد السابع والخمسون
ذو القعدة ١٤٣٢هـ / أكتوبر ٢٠١١م

المجلد ٥٧

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

★ عبر من التاريخ في مهمات الحياة !
★ تقديم على أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى
★ ملامح التزكية في الصيام وبعده
★ الفكرة التصادمية ومكانة المرأة في الإسلام

• إنما الأمم الأخلاق
• التبذير آفة اجتماعية منبوذة
• التمثيلات في القرآن الكريم
• إشكاليات المصطلحية العربية الحديثة

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص-ب-٩٣، لكناؤ- الهند
Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Fax : 0091-522-2741221,2741231, e-mail : thealbaas@nadwatululama.org

١٠٥٦٠
١٨١٢٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

Vol.57 Issue.03
October 2011

ذو القعدة ١٤٣٢هـ

مجلة إسلامية شهرية جامعة

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

(أبوالحسن علي الحسني الندوي -)

أنشأها:

فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى
في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

٥٧
المجلد
المجلد السابع والخمسون

العدد الثالث:

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:
محمد فرمان الندوي
محمد عبد الله الندوي

مسئول مكتب المجلة:
أختر سهيل

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ - ٠٥٢٢
جوال: ٩٤١٥٥٤٦٨٨٢ - ٠٠٩١
AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,
Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231
Mob:0091- 9415546882 E-mail:nadwa@sancharnet.in

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية في الهند

ثلاث مائة	٣٠٠/٠٠روبية
ثمن النسخة:	٣٠/٠٠روبية

في العالم العربي
وفي جميع دول العالم:

٥٠ دولاراً بالبريد الجوي

أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة
بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:
باسم "البعث الإسلامي"

A/C 10863759846
(SBI LKO.MAIN BRANCH)

وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT
NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93,
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

محتويات العدد

الافتتاحية:		
عبر من التاريخ في مهمات الحياة !	سعيد الأعظمي الندوي	٣
التوجيه الإسلامي:		
إنما الأمم الأخلاق	الدكتور محمد بن سعد الشويعر	٧
تقديم على أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى	الدكتور العلامة عبد الله بن عبد المحسن التركي	١١
التبذير آفة اجتماعية منبوذة	الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد	١٩
القرآن الكريم ونظام الكون	الأستاذ سعيد الرحمن بن محمد شهاب الدين الندوي	٢٤
الدعوة الإسلامية:		
ملامح التزكية في الصيام وبعده	الدكتور جمال الدين الفاروقي	٣٠
التمثيلات في القرآن الكريم	الباحثة سمية رياض الفلاحية	٣٥
الفكرة التصادمية ومكانة المرأة في الإسلام	الأستاذ محمود حافظ عبد الرب مرزا	٤٣
دراسات وأبحاث:		
إشكاليات المصطلحية العربية الحديثة	الدكتور محمد ثناء الله الندوي	٥٢
الإحسان ودوره في توطيد العلاقات الاجتماعية	الأستاذ محمد مصطفى كامل	٥٦
الروايات الإسرائيليات وموقف العلماء المسلمين منها	الأستاذ أبو الرضاء محمد نظام الدين الندوي	٦٤
دور الصحافة في تطوير مصطلح الأدب الإسلامي	الدكتور محمد طارق الأيوبي الندوي	٧٤
هل يوجد الفرق بين النبي والرسول	الدكتور محمد شاهد	٨٢
من كنوز القرآن الكريم:		
مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي	الأستاذ محمد فرمان الندوي	٩٤
إلى رحمة الله تعالى:		
البروفيسور عبد القوي الدسنوي في ذمة الله تعالى	قلم التحرير	٩٨
والدة الشيخ هارون رشيد الندوي في ذمة الله تعالى	***** *****	٩٨
أخت الأستاذ سعيد مرتضى الندوي إلى رحمة الله تعالى	***** *****	٩٨
والدة الأستاذ فخر الدين طيب الندوي إلى رحمة الله تعالى	***** *****	٩٩
الأستاذ عبد القادر باشا الباتكلي في ذمة الله تعالى	*** ** *****	٩٩
والدة الأستاذ رحمة الله الندوي النيبالي في ذمة الله تعالى	***** *****	٩٩
القاضي عبيد الله الندوي الإندوري إلى رحمة الله تعالى	***** *****	١٠٠
الشيخ محمد حسين الفتني إلى رحمة الله تعالى	***** *****	١٠٠

عبر من التاريخ في مهمات الحياة !

يقال: إن التطورات الحضارية في العالم المستقبلي ستتضاعف إلى أكبر حد ممكن، فلا يمكن أن نتصور ذلك من الآن، فقد تكون جميع الممارسات الإنسانية السرية مكشوفة عن طريق الآليات والإبداعات الحديثة التي نشاهد آثارها في عالم العلم والإبداع الحديث، وسيتمثل الكون كله في صورة مدينة واحدة، يسمع فيها الإنسان دقات قلوب الآخرين، ويطلع على الأفكار والنوايا المكنونة، دون أن تخفى عليه خافية من القول والعمل، ولعل ذلك يكون إيذانا بنهاية العالم وذوبان الوجود من كل نوع، وتقوم القيامة ويُنصب ميزان الحساب، ويحشر الناس في ساحة الحساب، فيعلم كل نفس بما كسبته في حياتها الدنيا من الطاعات والمعاصي التي بينها الله تعالى للناس عن طريق تعاليم الإسلام ورسالة النبي عليه الصلاة والسلام، التي حملها إلى الناس كافة من خلال فطرة الله التي فطر الناس عليها .

فإذا جاءت زلزلة الساعة تتكشف ملفات الأعمال بغاية من اليسر والسرعة، كما هو المشاهد اليوم في وقائع الحياة، وسيكون ذلك في المستقبل أوضح معنى، بحكم التطورات الحضارية المستقبلية، التي تقيد الإنسان بأغلالها، ورغم فناء العالم البشري، يُنشر كل شخص، ليقف موقف الحساب والنقاش، فقد جاءت الإشارة إلى ذلك في حديث رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم الذي تحدث فيه: "**لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**" (رواه الترمذي:٢٤١٩، وقال: حديث حسن صحيح). وقال الله عزوجل: ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۞ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**﴾ [القيامة: ٣-٤]. ولكن كم من الناس من يرون في هذه الإبداعات والمخترعات المدهشة صورة للقيامة التي تقوم مع توقف التحركات العلمية الإبداعية من غير تأخير، وتكون زلزلة الساعة شيئا عظيما، يشغل كل الناس عن كل عمل و واجب، قال عز من قائل: ﴿**إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**﴾ [الحج: ١-٢] .

ولا ريب فإن زلزلة القيامة لا يكاد يتصورها إنسان اليوم، الذي يعيش من غير تفكير في بناء مستقبله الأخير، وكأنه لا يواجه أبدا موتا أو فناء، وذلك هو التصور العام الذي تسرب إلى مجتمعات إنسانية تعيش في غنى عن يوم الحساب،

الذي يبدأ مع فناء العالم الكوني و قيام الحشر والنشر، فإما إلى ثواب، وإما إلى عقاب، وليس ذلك بدعاً، فقد حفظ لنا القرآن الكريم تاريخ أولي القوة من الحكم والعلم، ممن كانوا مغترين بالقوة وتكاثر المال وأسباب الحكم وعدد الأتباع والأنصار، وعلى سبيل المثال فقد تحدث لنا القرآن الكريم قصص قارون وهامان وفرعون، أولئك الأشخاص الذين عاشوا في نشوة من القوة بأنواعها، فهذا قارون المتمرد المغتر بالمال، يقول الله تعالى عنه: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦] . حتى انخدع به الناس وتمنوا بما لو أوتوا مثله من حظ عظيم ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص:٧٩]. إلا أنه لم تغن عنه كنوزه، ولم يتمكن من التنعم بها وبالجنة التي بناها إلى أمد بعيد، فجاء أمر الله تعالى بالخسف والخذلان، وأصيب بأسوء مصير ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ❖ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص:٨١ ٨٢] .

وهذا هامان وزير فرعون الذي قال له مستهزءا بالله رب العالمين، وفي غاية من الاستكبار والغطرسة ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨]. ثم أكد إنكاره وسخريته برب العالمين قائلا: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ❖ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٣٨ـ ٣٩] .

ولو لا أن هامان كان في منتهى البلادة والسفاهة لكان قد فهم ذلك الاستكبار، الذي صرح به فرعون قائلا: ليس هناك إله غيري، واكتفى بذلك، ولكنه بدأ يُعد العدة لبناء برج (Tower) عال، يبلغ إلى السماء، ويصعد عليه فرعون، ويطل من هناك إلى أن يطلع على رب العالمين .

أما فرعون فكان يزعم بحكم قوته وسلطته، التي صنعها بنفسه لنفسه أنه هو رب العالمين، وقد دعاه موسى عليه السلام إلى الإيمان برب العالمين، والتنازل عن دعوى الربوبية، ولكنه رفض ذلك بشدة وغضب، وقال: وما رب العالمين؟ فرد عليه موسى عليه السلام قائلا: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء:٢٤] وجرى حوار بينهما، ذكره الله تعالى في كتابه العظيم، فلنقرأه باختصار.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ❖ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ❖ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ❖ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ❖ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ❖ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ❖ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء:٢٣ـ ٢٩] .

إن قليلاً من الموازنة بين أولئك العتاة الظالمين المستكبرين الذين سبقت عصورهم على عصر أمثالهم اليوم، يعطينا صورة أقبح وأسمج من الصور السابقة، فإن المستكبرين المعاصرين في العالم الحديث يتسابقون فيما بينهم في الرفض والأنانية وإنكار الصانع القدير الدائم للكائنات كلها، وهم في نشوة من العلم الحديث، والصناعات المدهشة، الساحرة، لا يقيمون أي وزن ولا اعتبار للقيم الخلقية، والمعايير الدينية ولا للموت والحياة، فضلا عن التفكير في يوم القيامة، وما فيه من نقاش، حول ما أنجزه المرء من أعمال وفق التعاليم السماوية، وما قام به من إيجابيات في سبيل الأمن والسلام، وعمارة القلوب بالإيمان والعمل الصالح، وعمارة البيوت من الذكر واليقين، وعقيدة الآخرة والقيامة والحشر والنشر، وما فيها من سعادة وشقاء، خالدين دائمين، قال الله عزوجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ❖ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ❖ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [حم السجدة:٣٠ـ ٣٢] .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦] .

هناك ساحة واسعة للإنجازات العلمية والتقنية، ومجال واسع للصناعات من كل نوع، كما أن هناك تطورات كبيرة في جميع مجالات الحياة على المستوى العالمي، وكل ذلك بأمر آمر وقدرة قادر، ليس للعقل البشري أن يعمل في أي خط أو مخطط، إلا إذا كان التوفيق حليفه بأمر من الله تعالى، أما الصورة المشاهدة في عالم الصناعة والعلم الحديث اليوم فهي تعكس حياة الجبارين المستكبرين، الذين لقوا مصيرهم المؤلم في التاريخ القديم، وقد خلده كتاب الله تعالى في قصة عاد وثمود ومن على أثرهما من القوم الضالين، قال الله عزوجل: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ❖ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٥ـ٦٦] ثم تمردوا وقالوا: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف:٧٠] ولما تزايد تمردهم ومجادلتهم الزائفة عاقبهم الله تعالى بأشد عذاب ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف٧٢] .

ودعا صالح عليه السلام قومه ثمود، إلى عبادة الله وحده، وطلب منهم أن يذروا الناقة تأكل في أرض الله، ولا يمسوها بسوء، فيأخذهم عذاب أليم، وذكرهم بما أنعم الله عليهم من نعمة الخلافة بعد عاد، والتبوء في الأرض ونحت الجبال بيوتا، وقال لهم ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ❖ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ❖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا

بالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۞ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف :٧٤ـ ٧٨] .

وتتسلسل قصص الأنبياء الكرام عليهم السلام وأقوامهم في القرآن الكريم، وكلها تدعو إلى التفكير السليم والتأمل فيما واجههم من عقاب وعذاب، حينما رفضوا دعوة أنبيائهم إلى عبادة الله تعالى وحده، والإيمان بالله ورسله، وبالآخرة ويوم القيامة، بالرغم من أنهم كانوا ذوي صناعات عالية وعلم مادي، وعقول ذاكية، ولكنهم لم يستطيعوا أن يقوموا ببناء ما يفيدهم في الحياة الآخرة التي لابد من لقائها والوقوف فيها موقف النقاش، فإما إلى الجنة وإما إلى النار.

أما أن نعتز بتطوراتنا العلمية والإبداعية ونزعم أن ذلك هو المنتهى الأخير للإنسان، فليس من المعقول أبداً، فإذا كان السيد المسئول عن عمله الإبداعي يناقش العمال ويطلب منهم الحساب على أداء واجبهم المنوط بهم، فكيف لا يحاسب رب السماء والأرض، وخالق الأكوان والحياة والإنسان والكائنات كلها، عباده الذين خلقهم ومنحهم من نعم الحياة، ما لايأتي عليه الحصر ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤] .

والله سبحانه وتعالى يبشر عباده، الذين استجابوا له وعملوا الصالحات، ببشرهم بالحسنى، والذين لم يستجيبوا له أنذرهم بسوء الحساب، ومأوى جهنم، فقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد :١٨] .

إن قراءة القرآن الكريم تبين لكل من يقرؤه أنه يسير مع واقع الحياة، جنباً إلى جنب، وتبعث في الإنسان قوة الإيمان والعمل، وآداب الحياة في هذه الدنيا، والسير على درب مرضيات الله تعالى ودعوات الرسل، والدعوة التي جاء بها رسولنا المصطفى صلى الله عليه وسلم، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥ـ ٤٦] .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٢/٩/٢٢هـ
٢٠١١/٨/٢٣ م

(سعيد الأعظمي الندوي)

إنما الأمم الأخلاق

بقلم: سعادة الأستاذ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض

جدير بالمسلم أن ينطلق من المفهوم الخلقي الذي تمليه عقيدته، ويسير وفق تعاليم دينه في إدراك الدور الذي يتركه حسن الخلق في نفسه، وأثناء تعامله مع غيره، مثالية في النفس وتعليماً للآخرين عن قناعة وفهم، مع أهمية لفت الأنظار إلى سابق الإسلام، وحرصه على مصالح الأفراد، وترابط الجماعات، وضمان الحقوق، وإنزال الناس منازلهم .

حيث يجمع هذا الدين في اهتمامه بحسن الخلق، بين المصالح الدنيوية الظاهرة والأخروية المسعدة للنفس في معادها مع توضيح مكانة الإسلام في اهتمامه بتنظيم حياة الناس .

ولئن كان علماء النفس الذين قنّنوا بنظراتهم ومقاييسهم هذا العلم، وعلماء الاجتماع والتربية، الذين اهتموا بما يريدون تحقيقه منهما، وفق معايير ظنية النتائج، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلامس أوتار القلوب بتشريعه ويتغلغل في بواطن النفوس لمن أراد الله به خيراً، فقد روي الترمذي وأبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"ما من شيء يوضع في الميزان، أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب الخلق ليبلغ به درجة الصوم والصلاة" (جامع الأصول ٤: ٤١٤) ونحن معاشر المسلمين عندما يرغبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قدوتنا ومرشدنا في حسن الخلق، فإنما يريد منا أن نصبح أهلاً للتكريم من الله، بحسن مقابلة الآخرين، والتلطف معهم، والأمانة في العمل، والصدق والمحافظة على العهد، ومن ثم تمكين هذا المنهج في عاداتنا عملاً، وفي طباعنا سكوكاً، لكي تسمو نفوسنا، وترتفع بهذا السلوك مجتمعاتنا ويتأثر بنا غيرنا .

وحتى يكون لحسن الخلق سواء في التعامل الفردي، أو الجماعي، وحتى بين الأمم تأثير فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤصله بمثل هذا النص الكريم، فقد أخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما:"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون، والمتفيهقون، قالو: يا رسول الله قد علمنا: الثرثارون والمتشدقون! فما المتفيهقون؟ قال عليه الصلاة :المتكبرون" .

ففي هذا الحديث يبين صلى الله عليه وسلم نماذج من صفات سوء الخلق، والتي منها أيضاً، الكذب، والغيبة، والنميمة، وغيرها من الصفات الذميمة التي تفسد الراوابط، وتهدم المجتمعات، وتسبب الشحناء والتباغض.

فإذا كانت النصوص الشرعية في ديننا تعلمنا عن حسن الخلق ومكانته، وأهمية الدعوة إليه، فإن كمال الإيمان مرتبط بهذه الخصلة في الصراع الباطني، مع النفس لترويض طباعها وعلى حسن الخلق، سواء كان هذا خلقا جبلت عليه، أو طبعاً مكتسبا نتيجة أي مؤثر أو أدبا دينيا، رغبت فيه العقيدة الإسلامية، لما وراء ذلك من أجر عند الله، وقدوة صالحة يتأسى بها الناس في الدنيا، حيث مدح الله نبيه الكريم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وخلقه: القرآن.

وما ذلك إلا أن النصوص ثم النظرة الاجتماعية عن التأثر والتأثير، تجعل في النفس البشرية المؤمنة إحساسا بضرورة تحويل هذا المفيد من العمل وما فيه من مصحلة إلى تعبّد مع الله، وقربة بالتحلي به، وعملاً ذا نفع في العاجل والآجل، وذلك بحسن النية كما جاء في الأثر: "ذهب حسن الخلق بجماع الأمر كله".

وفي هذا الموقف يحسن بنا أن نتأمل الدور الإيجابي الذي تركته مسيرة الإسلام في عصر ازدهاره، على البشرية بصفة هامة، وحيث دخلت الأفواج المتتابعة في دين الله الحق، يستجلى الدارس من ذلك صورا عن الوقائع التي برزت علي الساحة، وفي العصر الحاضر رغم الهجمة على الإسلام تبرز نظائر من هنا وهناك، لتعبر عن المنهج الخلقي في تعاليم الإسلام، عرفانا بدور هذا الدين، في الحث على الأساليب المحببة للنفوس، وتتمناها الأمم مثالية وسلوكا.

ذلك أن الصفوة الأولى من أمة الإسلام عندما تهذبت خصالهم وآدابهم بمكارم الأخلاق وحسن الخلق، لأن الله يحب مكارم الأخلاق، أثروا في الأمم الأخرى، وزاد في تمكين هذا الأثر عندما استقر في أذهانهم بأن هؤلاء استقوا من معين تعاليم الإسلام وتأدبوا بآداب القرآن الكريم في تهذيبه للنفوس ودعوته لمكارم الأخلاق تم تأسيهم برسول الله صلى الله عليه وسلم في سلوكه وأعماله، وترسموا خطاه في كل موقف. فكان الشاعر عناهم بقوله:

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالكرام فلاح

والباحث المستقصي لمسيرة الجيوش الإسلامية، لنشر دين الله في أرجاء المعمورة يجد أن:

- أن الإسلام لم ينتشر بالسيف، كما يطلقونه في ديار الغرب، فالداخلون عن طريق القدوة والقناعة هم الأكثر.
- أن حسن الخلق والتعامل: بالصدق والوفاء، والمحافظة على الأمانة، وغيرها من أخلاق، هي التي جذبت الآخرين.

- أن الأمم التي دخلت الإسلام، قد انصهرت في مجتمعه بسرعة، وأحبته، ودافعت عنه، و ثبتت فيه جيلاً بعد جيل.
- أن الحقد والحسد والكذب وغيرها من الصفات لم توجد بين العرب. كأمة فاتحة غالبة.
- أن الأمم المغلوبة احترمها المسلمون، ولم يظلموهم، وعاشوا تحت عدالة الإسلام: "لا تظلمون لا تُظلمون".
- أن الطبقة المتعالية، والتحكم الفردي، قد تلاشيا في ظل دولة الإسلام، وتحكيم شريعته الطاهرة.
- أن الظلم قد ارتفع بعدل الإسلام، لإعطاء كل ذي حق حقه، وفق قاعدة: "إني حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا".

وغير هذا من أمور كثيرة هي من مكارم الأخلاق، التي جاء دين الله الحق لنشرها وتأصيلها مع توحيد الله سبحانه بالعبادة.

فالجيوش الإسلامية لم تصل جنوب وشرق آسيا ولم تتوغل في بلاد الصين، ولم تدخل ما يسمى بالعالم الجديد، في أوربا واستراليا، ولم تذهب لوسط إفريقيا وجنوبها وغربها، ولم تصل الدعوة الإسلامية للجزائر المتعددة في المحيطات والبحار على وجه الأرض، ومع هذا فقد أحب أعداد كثيرة وكبيرة من أبنائها، ذكورا وإناثا، الإسلام وانصهروا فيه عن رغبة وبطواعية، وكان لأفراد منهم دور كبير في الحركة العلمية الإسلامية، والدفاع عنه حتى يومنا هذا، لأنهم وجدوا في أخلاق المسلمين ومبادئ وتعاليم الإسلام، قواعد مكينة ورسخت أقدامهم فيه، وأحبوه عن قناعة في مثل، إنما المؤمنون ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه" (متفق عليه).

إذ المسلمون في تصرفاتهم المختلفة يرفقون بالضعيف، ويعطفون على الفقير والمسكين، ويعينون المحتاج ويرحمون الشيخ الكبير تقديراً لشيخوخته، والمرأة مهما كانت، إحسانا وبرا لضعفها.

ويؤدون الأمانة ويحفظون العقود، ويصدقون في القول، حديثاً وإحساناً وتعاملاً، ويرأفون بمن تحت أيديهم من خادم وأجير، ويحافظون على العهود والمواثيق، وغيرها من الخصال الحميدة الكثيرة التي هي جزء من معتقد المسلم، هي مثال السمو الخلقي، ومطلب من المطالب التي ترنو إليها البشرية، وتتطلع إليها أمم الأرض، مهما كانت مطالبها في الحياة ولكن كيف الوصول إلى ذلك حتى تنعم الشعوب بالأمن والرفاء.

إنها مثالية تحقق المصالح، وتقضي على النزعات، ويجدها المفكرون في ديار الغرب دواء لا يتوفر إلا بصيدلية الإسلام، ولا يصفها لهم إلا من تشبع بتعاليم الإسلام ومثالياته، يقول أحدهم: لو طبق المسلمون تعاليم دينهم بأمانة لدانت أوربا

بالإسلام، ولذا فإنها أمانة الله في عنق كل مسلم، يجب أداؤها، وكل منا على ثغر من ثغور الإسلام.

اللهم اجعل لنا من أمرنا رشداً، وأيقظ المسلمين من غفلتهم قبل أن يسألوا: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

حكايات في معنى آية:

جاء عند السيوطي في تفسيره للآية الكريمة في سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ حكايات فيها عبر منها: ما جاء في كتاب الهواتف للخرائطي عن سعيد بن جبير: أن رجلاً من بني تميم يقال له: رافع بن عمير حدّث عن بدء إسلامه قال: إني لأسير برمل عالج ذات ليلة، إذ غلبني النوم، فنزلت عن راحلتي، وأنختها ونمت، وقد تعوّذت قبل نومي، فقلت أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن، فرأيت رجلاً في منامي بيده حربة، يريد أن يضعها في نحر ناقتي، فانتبهت فزعاً فنظرت يميناً وشمالاً فلم أر شيئاً، فقلت: هذا حلم، ثم عدت ونمت، فرأيت مثل ذلك، فانتبهت ودرت حول ناقتي فلم أر شيئاً، فإذا ناقتي ترعد ثم غفوت فرأيت مثل ذلك، فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب، والتفت فإذا أنا برجل شاب كالذي رأيته في المنام، بيده حربة، ورجل شيخ ممسك بيده يرده عنها، فبينما هما يتنازعان، إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى، قم فخذ أيها شئت فداء لناقة جاري الأنسي.

فقام الفتى فأخذ منها ثوراً عظيماً، وانصرف، ثم التفت إليّ الشيخ وقال: يا هذا، إذا نزلت وادياً من الأودية، فخفت هوله، فقل: أعوذ برب محمد من هول هذا الوادي، ولا تعذ بأحد من الجن، فقد بطل أمرها، فقلت له: ومن محمد هذا؟ قال: نبي عربي لا شرقي، ولا غربي، بُعث يوم الاثنين قلت فأين مسكنه؟ قال: يثرب ذات النخل، فركبت راحلتي حين برق الصبح، وجددت السير حتى أتيت المدينة، فرآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدّثني بحديثي قبل أن أذكر له منه شيئاً، ودعاني إلى الإسلام فأسلمت.

وأخرى: فقد أخرج ابن مردويه من طريق معاوية بن قرة عن أبيه، قال: "ذهبت لأسلم حين بعث الله محمداً، مع رجلين أو ثلاثة في الإسلام، فأتيت الماء حيث يجتمع الناس، فإذا الناس براعي القرية، الذي يرعى لهم أغنامهم، فقال: لا أرعى لكم أغنامكم، قالوا: لم؟ قال: يجيء الذئب كل ليلة يأخذ شاة، وصنمكم هذا قد لا يضر ولا ينفع، ولا يُقرّ ولا ينكر، فذهبوا وأنا أرجو أن يسلموا، فلمّا أصبحنا جاء الراعي يشتدّ يقول: البشرى البشرى! قد جيء بالذئب وهو مربوط بين يدي الصنم بغير حبل، فذهبوا وذهبت معهم، فقتلوه وسجدوا للصنم، وقالوا: هكذا فافعل، فدخلت على محمد صلى الله عليه وسلم فحدّثته هذا الحديث، فقال: لعب بهم الشيطان (الدر المنثور: ٨/٣٠٢).

تقديم على أصح الكتب بعد كتاب الله

بقلم: أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي

(الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي) مكة المكرمة (المملكة العربية السعودية)

[لقد وفق الله سبحانه فضيلة الشيخ المحدث الدكتور تقي الدين الندوي أخيراً إلى تحقيق وتعليق الصحيح للبخاري، وإخراج هذا الكتاب العظيم الذي يعتبر أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، وذلك على حاشية المحدث الجليل الشيخ أحمد علي بن لطف الله السهارنبوري (م١٢٩٧هـ) وكانت مطبوعة على الحجر، بدون تحقيق وتعليق، فأحس بذلك النقص العلامة تقي الدين الندوي، وقام بالتحقيق والتصحيح والتعليق، وطبعها طباعة أنيقة جذابة على نفقة سمو الشيخ سلطان بن زايد، نائب رئيس وزراء دولة الإمارات العربية المتحدة.

وهذه مقدمة بقلم معالي العلامة الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة).

ننشرها تعميماً لفوائدها العلمية الجليلة وتعريفاً بهذا العمل التحديثي الكبير الذي حققه الله تعالى بفضل خاص منه لأوساط العلماء المحدثين المشتغلين بالتحديث ونشر علوم السنة في العالم الإسلامي اليوم وفي بلدان الأقليات المسلمة في العالم].

(سعيد الأعظمي)

الحمد لله الذي خلق خلقه أطواراً، وصرّفهم في أطوار الخلق كيف شاء عزّة واقتداراً، وأرسل الرُّسل إلى المكلّفين إعذاراً منه وإنذاراً، فأتمّ بهم على من اتبع سبيلهم نعمته السابغة، وأقام بهم على من خالف مناهجهم حجته البالغة، فنصب الدليل، وأنار السبيل، وأزاح العِلل، وقطع المعاذير، وأقام الحجة، وأوضح المحجة، فشملهم بالدعوة على ألسنة رسله حجة منه وعدلاً، وخصّ بالهداية من شاء منهم نعمة وفضلا.

والصلاة والسلام الأتمان والأكملان على عبد الله ورسوله، وخيرته من خلقه، محمد بن عبد الله، الذي أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للمؤمنين، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، وأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد شتاتها.

وبعد:

فقد اقتضت حكمة الباري تبارك وتعالى، أن يتأسس بنيان الإسلام على الوحيين: كتاب الله وسنة رسوله، ليتم البيان وتتضح معالم الشريعة، ويتسنى للمسلمين الاقتداء بنبيهم عليه الصلاة والسلام في الأقوال والأفعال.

وقد أكرم الله هذه الأمة بالحفظ والإسناد، فانتدب من أبنائها في القديم والحديث، من يحفظ عليها كتاب ربها وسنة نبيها في الصدور والسطور، ويعتني

بهما نقلاً و رواية، جيلاً بعد جيل، في صيانة تامة من السقط والتحريف والتغيير.

ولئن كان لكل أمة ميزة تعتز بها وتفخر، فإن الميزة التي ترفع بها هذه الأمة راية العز: ميزة الإسناد الذي عدّه سلفنا الصالح أساساً في تلقي الدين وحفظه على المسلمين، كما قال عبد الله بن المبارك فيما رواه عنه مسلم في مقدمة "صحيحه": "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء".

وليس الإسناد مقصوداً لمعنى في ذاته، بل لمعرفة أحوال النقلة من الجرح والتعديل والتوثيق والتضعيف، للتوصل بذلك إلى تمييز الصحيح من السقيم في الأخبار، فتحصل الثقة بالأول وتبنى عليه الأحكام، وينبذ الثاني بالعراء فلا يلتفت إليه إلا للاعتبار به في بعض أحواله، وبهذا أصبح الحديث المسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معلوماً من حيث الصحة والضعف، لدى أئمة هذا الفن المتخصصين به، ومن مجرد الاطلاع على إسناده ومعرفة رجاله.

وبالتزام الصحة في الرواية والإتقان في النقل، حُفظ القرآن الكريم بين دفتي المصحف، كما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودأب المسلمون على أن لا يكتفوا من أحد باستظهاره من المصحف، فيشهدوا له بالحفظ حتى ينضم إلى ذلك التلقين والمشافهة، بالقراءة على شيخ مجاز، كلمة كلمة، قراءة مسندة من إحدى الروايات الثابتة في إحدى القراءات المشهورة المعتمدة، وكانوا يحذرون من الأخذ عمن اكتفى بالحفظ من المصحف، ويقولون: "لا تحملوا العلم عن صحُفيٍّ، ولا تأخذوا القرآن من مصحفيٍّ" كما روي عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي وسليمان بن موسى وثور بن يزيد.

والقراءات القرآنية المعتمدة جمعت وجوهها من سبعة قراء اشتهروا على رأس المائتين في خمسة من الأمصار الإسلامية: مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام، واتفقت الأمة على قبول قراءاتهم والاعتماد عليها، لكونها ثبتت من طريق صحيحة متصلة السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، موافقة لرسم المصحف الإمام الذي جمع الأمة عليه الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وبتحرّي الصحة في الرواية والإتقان في النقل، دأب سلفنا رحمهم الله على رواية السنة النبوية وتلقيها مُسندة من طرق في التحمل مشهورة معروفة، كالمناولة والإجازة والمكاتبة.

وأعلاها: السماع من لفظ الشيخ، وهو يقرأ من حفظه أو كتابه، يليه ما يسميه علماء الحديث بالعرض، وهو أن تقرأ أو يقرأ غيرك على الشيخ وهو يسمع، ثم يثبت ذلك في طِباق السماع وأصول المرويات.

ولمزيد من الدقة في الرواية، اصطلح المحدثون على ألفاظ تميز طريقة التحمل لدى الأدءا، في تصنيف الكتب أو لدى الإملاء في مجالس التحديث.

وبهذا الحرص على صيانة العلم من الخطأ عني المسلمون بتصحيح النسخ من

الكتب المصنفة - ولا سما كتب علم الحديث الحافظة للسنة - وضبطها ضبطاً مباشراً لدى قراءتها على مصنفيها، أو بالمقابلة على أصول مسموعة عليه مصونة عند أصحابها من الدخل.

والمقصود من السنة النبوية أن يفهم المسلمون بواسطتها كتاب الله تعالى في إيضاح مشكله، وتفصيل مجمله، وتخصيص عمومه، وتقييد مطلقه حيث أريد الخصوص والتقييد، ومما يتمم تفصيل مجملات كتاب الله ويلتحق بها ما وردت به السنة من أحكام وآداب مستقلة، ذلك أن الله تعالى افترض على المسلمين طاعة رسوله افتراضاً مطلقاً، كافتراضه طاعته عز وجل عليهم، وإذ ذاك فليس من شرط السنة أن يوجد لها أصل صريح في كتاب الله ترجع إليه بأحد ضروب البيان، وإن رام بعض العلماء كالشافعي والشاطبي أن يثبتوا اطراد ذلك فيما ثبت من السنن.

وسواء وردت السنة في محل البيان لكتاب الله أو مستقلة عنه، فإنها المحتِد بعد كتاب لله لفهم الشريعة جملة وتفصيلاً، والمرجع للمسلمين عند الاختلاف، سواء في أصول الدين وما يتصل بالإيمان والتوحيد، أو في فروعه وما يتصل بالأحكام والآداب، فليس لأحد أن يتنكب عن مهيعها بسلوك سبيل التعطيل، أو تكلّف ضروب التأويل، أو تحكيم الرأي ومقاييس العقول، على نصوصها الواضحة الصريحة.

فبهذا يسلم الدين من البدع ومقحمات الأهواء، ويكون المسلم على منهاج السلف الذين هم أهدى أجيال الأمة سبيلا، وأقومها قيلا، وتلقيا وفهما وعملا، وبخاصة ما يتعلق بأسماء الله تعالى، وصفاته وأركان الإيمان، فمنهاج سلف الأمة الصالح هو المنهاج الحق الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم أجمعون.

ولما كان المقصود من السنة فهم الدين على ضوء ما سبق، والعمل بمقتضاه، وكان عموم الأمة بحاجة إلى مصنفات جامعة تلمُّ بأبواب الدين وتحيط بشعبه، ليكون ذلك سهلاً عليها قريب التناول لحفظه وفقهه والعمل به، عمَد بعض أئمة العلم بالحديث دراية و رواية إلى إسعافها بحاجتها هذه وكفايتها فيها، فصنفوا جوامع في السنة، وكان على رأسها كتاب أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري (ت ٢٥٦هـ) المسمى: "الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه" فقد اختصه المسلمون بالمرتبة العليا، ووُصف بأنه لا يوجد كتاب بعد كتاب الله مصنف، أصح منه في الدنيا، وذلك لما اشتمل عليه من جمع الأصح والصحيح، وما قرن بأبوابه من الفقه النافع الشاهد لمؤلفه بالترجيح إلى ما تميز به مؤلفه عن غيره بإتقان معرفة التعديل والتجريح [1].

[1] - مقتبس من "مقدمة فتح الباري"

ولهذه الميزة التي اختص بها "الجامع الصحيح" لقي من العناية والاهتمام ما لم يلقه كتاب سواه من الكتب المصنفة في هذا الشأن؛ فأقبل الناس عليه إقبالا منقطع النظير، وحفلوا به أكثر من غيره من المصنفات، وقدموه عليها، رواية ودراية، فكثر الرواة له الذين أخذوه عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري (ت ٣٢٠هـ) تلميذ الإمام البخاري و راوية كتابه، الذي تعدّ روايته أشهر روايات "الجامع الصحيح" حيث اشتهرت بتلقيه إياها سماعاً من البخاري مرتين، إحداهما ببلدة "فِرَبْرَ" سنة ٢٤٨هـ والثانية ببلد شيخه "بخاري" سنة ٢٥٢هـ .

لقد بلغت عدة من روى الكتاب عن الفربري المئات، اشتهر بعض منهم شهرة خاصة، فكانت نسخهم هي العمدة لدى المتأخرين، وقد تولى بيان ما بينها من فروق في الألفاظ، الحافظ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - في شرحه العُجاب المسمى "فتح الباري" .

كما اعتنى العلماء ببيان "الجامع الصحيح" منذ خرج إلى الناس وصاروا يروونه ويتناسخونه ويتناقلونه بين البلدان، إلى أن أفضى الزمن إلى الطباعة، فعنوا بتفسير غريبه وإيضاح ما أشكل منه، والتعريف برجاله، وتخريج أطرافه لبيان مواضعها وتكرارها من الكتب والأبواب، وكشف وجوه التناسب المعنوي والصلة الفقهية بين تراجم الأبواب والأحاديث المذكورة فيها .

ومنهم من شرح الكتاب شرحاً كاملاً، مفصلاً لهذه الوجوه من البيان كلها أو بعضها، كالخطابي والداودي والمهلب بن أبي صفرة، وابن بطال وابن التين والزين بن المنير والعيني والقسطلاني، في آخرين يبلغون المئات، يتصدرهم الحافظ ابن الحجر العسقلاني الذي أوفى على الغاية في خدمة (الجامع الصحيح) من جميع الجوانب المتعلقة ببيانه، حتى إن أحد المشاهير من العلماء، لما سئل أن يضع شرحا على "البخاري" قال: "لا هجرة بعد الفتح" .

وطريقته فيه أن يستهلّ بالكلام على تراجم الأبواب، وما فيها من الدلالة على فقه البخاري، وما لغيره في المسألة التي تضمنتها الترجمة وفاقاً وخلافاً، ثم يُثنّي بالكلام على أسانيد الأحاديث، وما فيها من نكت ولطائف، ثم يثلث بالكلام على المعنى باستيفاء وتقصّ لا مزيد عليه .

هذا، وقد برزت في دهلي يقظة علمية انقدحت جذوتها منذ ثلاثة قرون، تركزت على العناية بالحديث وعلومه وفنونه المختلفة رواية ودراية، ثم انتشرت هذه اليقظة حتى عمّت ربوع الهند والسند، وكان ذلك فضلاً ادّخره الله تعالى لتلك البلاد وأهلها؛ إذ جنّدهم لحفظ سنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وإحياء علومها، فتنافسوا في اقتناء كتبها وبذلوا فيها نفيس الأثمان، وقطعوا في البحث عنها الفيافي وجابوا البلدان، ونفقت بينهم سوق النسخ، ولما جاء عهد الطباعة جلبوا المطابع في وقت مبكر، فطبعوا الكثير من الأمهات وغيرها و وزعوها في

الهند وخارجها حتى وصلت إلى البلاد العربية .

وأسسوا المدارس ودور العلوم والكليات والجامعات الإسلامية، ونبغ منهم نبغاء، لا سيما في دلهي وكجرات ولكناؤ وسهارنفور وأعظم جراه، ومباركفور، وديوبند... نفعوا الطلاب بالإقراء والتدريس والتحفيظ وخدموا الكتب بالتعليق والشرح والتنقيح، كما نجد ذلك جلياً في كتاب "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" للعلامة المؤرخ عبد الحي بن فخر الدين الحسني (ت ١٣٤١هـ) وفي كتابه الآخر "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف" المطبوع في الشام بعنوان: "الثقافة الإسلامية في الهند" فحق على الأئمة أن تعترف لهم بهذا الفضل والسبق والخدمة الجليلة للأصل الثاني من أصول التشريع الإسلامي .

وكان من أولئك الأعلام الكرام الشيخ أحمد علي بن لطف الله السهارنفوري (ت ١٢٩٧هـ) أحد كبار المحدثين، والفقهاء في الهند في القرن الثالث عشر، المسند المفيد، صاحب التعاليق القيّمة على العديد من كتب السنة، والذي تخرج على يديه كثير من المشاهير أمثال الشيخ محمد قاسم النانوتوي، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ شبلي النعماني وغيرهم .

وقد صرف - رحمه الله - عناية خاصة لـ" الجامع الصحيح" فطبعه في المطبعة التي أنشأها في دهلي، وكانت أول طبعة لـ "صحيح البخاري" ظهرت على وجه البسيطة، وذلك فيما بين (١٢٦٧- ١٢٧٠هـ) أي قبل الطبعة البولاقية المصرية بعشر سنين، ثم أعاد طباعته ثانية بعد خمس عشرة سنة، أي في سنة ١٢٨٢هـ .

والنسخة التي أخرج منها الكتاب للطباعة، مصححة مدققة بدرجة عالية، تتميز باعتمادها على نسخ عديدة وقعت للإمام السهارنفوري، نادرة وموثقة لأصح كتاب بعد كتاب الله، لعل من أعرقها وأتقنها نسخة الإمام رضي الدين أبي الفضل الحسن بن محمد العدوي الصغاني (ت ٦٥٠هـ) وهي نسخة مقابلة على أصل مقروء على الفِرَبْري تلميذ الإمام البخاري، وكان جُل اعتماد السهارنفوري عليها .

كما اعتمد على نسخة شيخه مسند الهند المحدث محمد إسحاق التي اتخذها أصلاً لتعليقاته، وهي نسخة استهدى الشيخ محمد إسحاق في تحريرها بنسخة جده لأمه عبد العزيز بن الإمام أحمد بن عبد الرحيم الإمام ولي الله الدهلوي، وعبد العزيز اعتمد في نسخته كثيراً على أصل والده؛ إذ يلحظ الناظر فيهما تطابقاً في الكثير من المباحث .

والإمام ولي الله الدهلوي أحيا الله بجهوده وجهود أولاده وأسباطه وتلاميذهم السنة وعلوم الحديث في الهند، وعلى كتبه وأسانيده المدار في تلك الديار .

وكان مكة - زادها الله تشريفاً وتكريماً، ولا تزال - ملتقى العلماء من مختلف الأقطار، ومثابة لهم، تصل بينهم فيفيد بعضهم من بعض، وقد انتشرت كثير من الكتب بين المشرق والمغرب بهذا السبب، وكذلك المدينة النبوية - على

صاحبها الصلاة والسلام. تشترك مع مكة في هذه الخصيصة المنيفة.

وبهذا السبب اتصل العلامة السهارنفوري في مرحلة الطلب بعدد من مشايخ الحرمين الشريفين، فتعلم منهم و روي عنهم.

وبهذا السبب أيضا حصل ولي الله الدهلوي على نسخة قيمة من "الجامع الصحيح" صحّح عليها نسخته لشيخ شيوخه عبد الله بن سالم البصري المكي(ت ١١٣٤هـ) الذي قضى ما يزيد على عشرين سنة، على ما ذكر الدهلوي عنه، في تحقيقها وتدقيقها، ومقابلتها بنسخة العلامة المتقن شرف الدين أبي الحسن علي اليونيني (ت ٧٠١هـ) وغيرها من النسخ المعتمدة لـ"صحيح البخاري" غير أن الدهلوي أسقط الفروق التي أثبتها البصري لأصول نسخته في الهوامش.

فبان بهذا أن النسختين اللتين اعتمد عليهما السهارنفوري رحمه الله في نسخ أخرى كثيرة، تتصل إحداهما بأصل اليونيني، والثانية بأصل الصغاني، وهما أصح الأصول لـ"الجامع الصحيح" في العالم، عليهما عول الشرّاح المتأخرون كابن حجر والعيني والقسطلاني.

ولليونينية ميزة في الإتقان والتوثيق، أكسبتها تقدماً على غيرها من النسخ، وجعلتها أجل أصل يوثق به ويعول عليه؛ وذلك أن صاحبها عارضها على أربعة أصول معتمدة في غاية الإتقان:

١- أصل مسموع على الحافظ أبي ذر الهروي (ت ٤٣٤هـ) الذي سمعه من أبي إسحاق المستملي (ت ٣٧٦هـ) وأبي محمد الشرخسي (ت ٣٨١هـ) وأبي الهيثم الكشميهني (ت ٣٨٩هـ) وثلاثتهم تلقوا "الجامع الصحيح" عن الفربري عن المصنف، و رواية أبي ذر يعتبرها الحافظ ابن حجر أتقن الثلاث، لضبط صاحبها لنصوصها، وتمييزه اختلاف سياقها، كما أن عليها المدار في رواية "صحيح البخاري".

٢- أصل مسموع على الحافظ أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي الأندلسي المالكي (ت ٣٩٢هـ) الذي أخذ "الصحيح" عن أبي زيد المروزي عن الفربري عن البخاري.

٣- أصل الحافظ أبي القاسم ابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ).

٤- أصل مسموع على مُسند الآفاق الإمام أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي المالِيني (ت ٥٥٣هـ) الذي سمعه من أبي الحسن عبد الرحمن بن ممحمد الداودي (ت ٤٦٧هـ) عن أبي محمد الحموي السرخسي عن الفربري عن البخاري.

وعلى النسخة اليونينية اعتمد القسطلاني في شرحه "إرشاد الساري" وضبط الكتاب كلمة كلمة وحرفاً حرفاً، وهذه أكبر ميزة لهذا الشرح.

وقد استحضر السهارنفوري عدداً من النسخ الموثقة والأصول الثابتة للاعتماد عليها، مع معونة الشروح الشهيرة لـ"الجامع الصحيح" كالعسقلاني والعيني والقسطلاني، في إثبات الفروق بين الروايات المشار إليها آنفا، زيادة أو نقصاً، أو اختلافا

في بناء كلمة، رامزاً لكل نسخة بحرف يميزها عن غيرها، على غرار ما صنع الهروي من قبل في نسخته في بيان الفروق بين أصولها الثلاثة، للسرخسي والكشميهني والمستملي، وعلى غرار ما صنع اليونيني في بيان الفروق بين أصول نسخته.

وبهذا أخرج السهارنفوري نسخة فريدة الطراز، ثم وشّاها بحواش زادتها قيمة وشأناً عند أهل العلم، فقد أتي فيها "بنكات عجيبة" وفوائد جليلة، ومسائل فنية، وحقائق علمية، ومباحث نادرة"[1] وأفاد في الكلام على التراجم من شرح تراجم أبواب البخاري للإمام ولي الله الدهلوي، واستقى من مصادر أخرى ذكرها في المقدمة، تبلغ في عدتها أربعة وستين مصدرا، بعضها عزيز نادر الوجود.

وظلت الطبعة الأحمدية الهندية لهذا الكتاب الجليل، تجول في الآفاق على صورتها الحجرية المنسقة في خطوطها على الطريق الهندية، متداخلة الحواشي، ومنمنمة السطور، مستديرة العبارات المعلقة على هوامش الصفحات وطررها، بالإضافة إلى العبارات البيانية القصيرة المتداخلة بين السطور.

وهي بلا ريب صعبة القراءة على أهل زماننا، بل على أهل ذلك الزمان الغابر، باستثناء علماء الهند الذين ألفوا هذا الأسلوب من الطباعة وتمرّسوا عليه، ونزر يسير من علماء العرب الذين تدرّبوا رُويداً رُويداً حتى تمهّروا بقراءتها دون عناء.

فكان ذلك داعياً لإخراج هذه الطبعة الأنيقة الجميلة التي تقرّب البعيد، وتذلّل الصعب، وتُسهّل الوعر، أعدّها وأخرجها وأضاف إليها - من الزوائد والفوائد المتمعة الرافدة، ما جعلها من فرائد الكنوز - أخونا وصديقنا الفاضل الدكتور تقي الدين الندوي.

وهو أحد علماء الحديث المبرّزين في الهند، تخرج في دار العلوم بندوة العلماء في لكناؤ، وقرأ على فضلاء مشايخها، من أمثال الشيخ حليم عطاء السلوني (ت ١٣٧٤هـ) وتتلمّذ كذلك على العلامة محمد زكريا الكاندهلوي (ت ١٤٠٢هـ) ثم صحبه وعمل معه في خدمة الحديث وشروحه، تنقيحاً وتعليقاً، وحسن إعداد لطباعتها، فاعتنى بـ" بذل المجهود في شرح سنن أبي داود" للعلامة المحدث الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ت ١٣٤٦هـ) و"أوجز المسالك إلى موطأ مالك" لشيخه محمد زكريا، و"الزهد الكبير" للإمام البيهقي.

واشتغل بتدريس الحديث وعلومه في دار العلوم بندوة العلماء، ثم استقرّ به النوى في جامعة الإمارات العربية المتحدة بالعين.

وصرف عنايته للبحث والتأليف والتحقيق في هذا الميدان، حتى صار أحد فرسانه، و رزقه الله تعالى همة عالية، وجلداً ماضياً على البحث ومكابدة مشاقه في دأب لا كلل فيه ولا ملل.

---

[1] - من مقدمة المحقق: خصائص الشرح"

ومن قرأ تعليقاته على كتاب "التعليق الممجد" أو"ظفر الأماني" لعلامة زمانه في الهند عبدالحي اللكهنوي، عرف الشأو الذي بلغه في الاطلاع والمعرفة بالحديث وفنونه، أجزل الله له المثوبة فيما قدم، وبارك في أعماله وأوقاته، ومتعه بدوام العون والتوفيق لخير المقاصد .

وها هو ذا اليوم يخرّج لأهل العلم وطلابه والمشتغلين به هذه الحاشية النفيسة في حلة قشيبة أنيقة، ثمرتها طيبة، وقطوفها دانية، وطعمها سائغ مريئ، بعد ما سلخ في إعدادها ما يُنيّف على عقد من السنين، يُسنده في عمله هذا خبرة شخصية في التحقيق والتأليف والبحث، تجاوزت خمسين سنة، فاستحق بذلك أن يذكر له هذا الجهد فيشكر، ويحظى بالتقدير من كل مشتغل بالسنة وعلومها .

فإن إصدار نسخة مصححة ومنقحة تنقيحا دقيقا، يسد بلا ريب حاجة الدارسين، والمدرسين لهذا الكتاب الجليل الذي هو أصح كتاب بعد كتاب الله المجيد .

أجل فلقد استعان في تصحيح أصل الكتاب على نسخة الصغاني التي تعتبر أساساً في عمله هذا، بما طالته يده من نسخ "البخاري" الأخرى، وفي مقدمتها النسخة السلطانية المطبوعة، بالمطبعة الأميرية ببولاق في العام ١٣١١هـ، وهي نسخة محققة ومقابلة على عشرات الأصول، وفي مقدمتها نسخة اليونيني المشار إليها في السابق .

وتتبع - حفظه الله - المصادر والموارد التي اعتمد عليها العلامة السهارنفوري، فحصل عليها - مخطوطها ومطبوعها - على ما في ذلك من العسر وبعض التكاليف، وفي ذلك يقول: "ونحن بذلنا جهوداً جبارة للحصول على هذه المصادر المخطوطة من المكتبات، وتحصلناها بحمد الله كلها إلا كتاب "فيض الباري" للشيخ عبد الأول الجونفوري، الذي هو من مصادر كتاب "غاية التوضيح" وهو موجود عندنا (١) .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أقول: إن ما قدّمه أخونا وصديقنا الدكتور الندوي، لدينه وأمته بإخراج هذا الكتاب، لا يوفيه عليه أجره إلا الله سبحانه وتعالى .

والحمد لله في البدء والختام .

أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي
الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.
١٤٣٠/١١/١٧هـ

---

١ - من مقدمة المحقق: خصائص الشرح".

التبذير آفة اجتماعية منبوذة

بقلم: الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد (جمهورية مصر العربية)

بعتبر حق البشر في الانتفاع بمال الله، ليس حقاً مطلقاً، وإنما هو حق مقيد بقيود، فليس لهم أن ينتفعوا بهذا المال كما يشاءون، وإنما ينتفعون به فقط في حدود حاجتهم لهذا المال وبالقدر الذي يكف عنهم الحاجة ويدفعها بشرط أن يكون ذلك كله في حدود الاعتدال، دون سرف أو تقتير، فليس لهم أن يسرفوا في طعامهم وشرابهم، ولباسهم وسائر أمور معيشتهم، ولا يجوز لهم أن يقتروا على أنفسهم، وعليهم أن يتوسطوا بين الأمرين، فقد حرم الله عليهم السرف وبسط اليد في المال، كما حرم عليهم التقتير وقبض اليد عن النفس لما هي محتاجة إليه، قال تعالى:﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] كما قال عزوجل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧] وكما قال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] وكما قال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، فمن صفات المؤمن اعتداله وتوسطه في مأكله ومشربه، فلا خير في مؤمن قد جعل كل همه ومقصده في حياته، ملء بطنه بكل ما يمكنه الحصول عليه من طعام، حتى ينفق في سبيل ذلك كل ماله وكسبه، وفضلاً عما يسببه الإسراف في الطعام من تخمة وأمراض تصيب البدن، وفضلاً عما يسببه المسرف من حرمان غيره من حقهم فيما رزقه الله تعالى، فإن للإسراف انعكاسات أخرى ضارة بالمسرف ذاته وبغيره من الناس، فالنهم البطن يتبلد تفكيره، فلا يحس ولا يرى ما يعانيه الفقير المحروم، وما في نظراته من حسد وحقد، ويستسلم لشهوات نفسه، تسيره حيث تشاء وكيف تريد، وهو لا يملك لها قياداً ولا يستطيع لها ضبطاً، وما أصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجوب الاعتدال في الطعام، إذ يقول صلى الله عليه وسلم :"نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع" أي على المؤمن ألا يأكل إلا ما يكفي منع غائلة الجوع، ثم إذا أكل لا يسرف في الأكل لدرجة التخمة، ويقول عليه الصلاة والسلام: "ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وإذا كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه" والاعتدال في الملبس والتزين أيضاً من سمات السلوك الشخصي للمؤمن التقي، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١)، والحكمة في فرض الاعتدال في الملبس والتزين عصمة للمؤمن من الغرور بمتاع

الدنيا، والزهو على الناس، والتباهي بما عنده من مال ومتاع، فضلاً عن توقي حسد المحروم وحقده، كما أن إسراف المؤمن في التزين يخرجه عن سمة الرجولة التي خلقه الله عليها ويمسخها، ومن الظواهر التي طغت على سطح الحياة الاقتصادية في أمتنا، وأتت بنتائج سلبية ظاهرة تكالب الناس على شراء كل ما هو جديد من سلع، خاصة تلك التي كانت تعد يوماً ما من السلع الترفيهية أو الكمالية والغير الضرورية، فأصبح الشغل الشاغل لكثير من الناس الرغبة في أن يتملكوا سيارة فارهة وتليفزيوناً ملوّناً وفيديو وطبقاً فضائياً وأتاري وديب فريزر وغسالة أطباق وغسالة فول أوتوماتيك، وأن يغطوا أرضية منزلهم ومكاتبهم بالموكيت والسجاد الفاخر، وأن يملئوا منزلهم بالتحف والتابلوهات، وغيرها مما يكلفهم الكثير، ولا يحتاجون إليها في حياتهم، بل نجد من يحرم نفسه وأولاده من الضروريات ومن أجل اقتناء هذه السلع، على الرغم من إنه يجب ألا يتسم الإنفاق الاستهلاكي بالإسراف والتبذير لأن الإسراف يضر بالمال، فضلاً عن أنه إذا انتشر في قوم بدد ثروة المجتمع، علاوة على إنه قد يلحق الضرر بالإنسان نفسه، ومن آيات القرآن ما نهي عن الإسراف بصفة عامة، ومنها ما خصّ الإسراف في استهلاك الأكل خاصة، وإذا كان الإسلام قد نهى عن الإسراف فقد نهى أيضاً عن الإقتار، فوصف الله عباد الرحمن بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧]، ويطبق المسلم القوامة بين الإسراف والإقتار في حدود سعته المالية، وذلك إعمالاً بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧]، والقوامة بين الإسراف والإقتار تؤدي إلى الاعتدال في الاستهلاك وتمنع الانحرافات الاقتصادية التي تؤدي في حالة الإسراف إلى حدوث التضخم، وما يتبعه من غلاء، وارتفاع الأسعار، والتفاوت في الدخول، وزيادة محن ومصاعب أصحاب الدخول المحدودة، كما أن الاعتدال في الاستهلاك يمنع حالة الإقتار التي تؤدي إلى حدوث الكساد، وما يستتبعه من هبوط الإنتاج، والاستغناء عن بعض العمال ونشوء البطالة، فالإنفاق المعتدل على الاستهلاك يولد الطلب المعتدل على السلع والخدمات مما يؤدي إلى الإنتاج والطلب على العمال ونشاط التجارة والصناعة والزراعة وكافة الأنشطة مما يؤدي إلى تحقيق عمارة الأرض، والإنفاق الاستهلاكي للمسلم خال من الترف والبخل، فإذا كان الإنفاق بترف وبذخ وسفه فهو يؤدي إلى الإفساد، والإفساد يؤدي إلى هلاك البلاد في الدنيا والعذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:١٦]، وإذا حبس الإنفاق عما لا ينبغي حبسه كان ذلك بخلا، وهو بالنسبة للإنفاق على النفس يعتبر أشد درجات التقتير، فيؤدي شدة حب البخلاء للمال، وحبسه وعدم إنفاقه، إلى الإضرار

بأنفهسم وبالناس، فضلاً عما يلقاه البخيل من عذاب الله في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ❖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ❖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٨ -١٠]، كما يشير القرآن إلى أن حرية التملك التي أباحها الإسلام للفرد، مقيدة بعدم الطغيان وعدم الإسراف وعدم الإفساد، قال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ [طه:٨١]، وقال عزوجل: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:٦٠]، وفي الحديث النبوي "كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا غير مخيلة ولا سرف" وفي حديث آخر "في غير إسراف ولا مخيلة" فإذا طغى كبار الملاك بأموالهم الطائلة، ومضوا في التبذير والبذخ التفاخري، وأسرفوا في تبذير فيوض أموالهم وأرباحهم في ما لا ينفع، أوجب الإسلام أن تحد الدولة من إسرافهم وتهذب من سفههم وتقيد من طغواهم، وترد من فضول أموالهم على الفقراء والمحرومين والأيتام بدلاً من مصارفها تلك الخبيثة الحرام، كما يحذر القرآن الكريم من الإسراف والترف والطغيان في إنفاق أموالهم، لأنهم من مهلكات الأمم ومضعفات قواها ومذلات علاها، فقد قص القرآن علينا أخبار من ذهبت رياحهم قبلنا، وعلل هلاكهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة بأنهم: ﴿كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقعة:٤٥]، وقال عنهم أيضاً في سورة هود: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود:١١٦] فالترف إذا جريمة كما أن الإسراف ظلم، والرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد ذلك المعنى بقوله: "فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم الدنيا، وأن تبسط عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما نافسوها فتهلككم كما أهلكتهم" (متفق عليه)، وقالت عائشة رضي الله عنها: "أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها الشبع فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم" (رواه البخاري).

إن الإنفاق في التفاخر والرياء والمظاهر والملذات وتبديد الأموال في مجالات غير مفيدة، بدلاً من صرفها في تلبية حوائج الإنسان الحقيقية، وما يعود عليه بالنفع والخير، كفر بنعمة الله وجحود، ومن ينفق أمواله هكذا، فهو آخو الشيطان وقرينه، وضرورة لمنع إنفاق المال في غير مواضعه داخل المجتمع الصالح عن طرق القوانين واللوائح والتربية الخلقية، قال تعالى في سورة [الإسراء: ٢٦- ٢٧] ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ❖ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ❖ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ والترف منكر في الإسلام لما يخلقه من انهيار وترهل في بنية الفرد وفي بنية الأمة، ولما يبثه من فساد وتعفن في كيان الفرد وفي كيان الجماعة كما أن الترف في أمة لا يقوم إلا على حساب الشظف، في فريق كبير من أبنائها، فمن دماء الجماهير وجهودها ومن ضرورياتها وحاجاتها يستمد

هذا النفير المترف لذاته، وكمالياته، مما يثير أحقاد النفوس وحزازات الصدور، مما يفقد الجماعة روح السلامة، والإخاء، ويقيم بعضها حربا على بعض لتناقض المصالح واختلاف المطامع، ولما كان وجود المال في أيدي هؤلاء المترفين، هوالذي يهيء لهم هذا البذخ المنبوذ، وفي الوقت ذاته يؤجج العداوات والحزازات، ويخلخل بناء المجتمع، ويهزه من أساسه، فإن مبدأ سدّ الذرائع يتدخل هنا، ويفرض على الدولة المسلمة أن تنزعه من أيديهم، فمبدأ سد الذارئع هو مبدأ الوقاية من الاحتمالات المنتظرة أو المتوقعة، وهو الذي يحرم الوسيلة إذا كانت تؤدي إلى غاية محرمة، ولو كانت هذه الوسيلة بذاتها غير محرمة، ووجود المال الفائض في أيدي هؤلاء هو الوسيلة التي يجب منعها اتقاء العاقبة، كما يصف القرآن الكريم هؤلاء المترفين بسقوط الهمة وضعف القوة وهبوط الأريحية ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة:٨٦]، والمترفون دائما يقفون في وجود الهدي، قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبا:٣٤]، فضلا على ما يصنعه الترف بالضمير وما يحدثه المتاع الغليظ من جمود في المشاعر، قال تعالى:﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاَءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ❖ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان:١٧ ـ ١٨]، فالمتاع المترف الطويل الموروث ينسي الذكر ويؤدي إلى الجدب والضحالة والتعبير بأنهم﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ تعبير مصور عجيب عميق الدلالة، فالأرض البور هي المجدبة التي لا تنتج ولا تثمر، وكذلك قلوبهم ونفوسهم وحياتهم جدبة بائرة صلدة لا تبقى فيها مشاعر ولا حياة، ولاجرم إذن أن يكون الترف سبب الهلاك على مدى التاريخ، فالترف سبب للبطر﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [القصص: ٥٨] ولا جرم أن يكون أيضا سببا للعذاب في الآخرة بما يؤدي إليه من المعاصي﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ❖ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ❖ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ❖ لاَ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ ❖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ❖ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ ❖ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ❖ أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ﴾ [الواقعة:٤١ـ ٤٨]، ولكن الهلاك والعذاب، لا يصيبان الفرد المترف وحده، بل يصيبان الجماعة التي تسمح بوجود المترفين كما سبق أن بينا .

وقبل أن نختم مقالنا هذا سنذكر نبذة عن حياة النبي عليه الصلاة والسلام وأهل بيته، أخرج البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت:"رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أكلت في اليوم مرتين، فقال يا عائشة أما تحبين أن يكون لك شغل إلا جوفك؟ الأكل في اليوم مرتين من الإسراف، والله لا يحب المسرفين" وفي

رواية أخرى :"ياعائشة اتخذت الدنيا بطنك، أكثر من أكلة في اليوم سرف، والله لا يحب المسرفين" .

وعن ابن الأعرابي عن عائشة رضي الله عنها قالت:"جلست أبكي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما يبكيك إن كنت تريدين اللحوق بي فليكفك من الدنيا مثل زاد الراكب ولا تخالطين الأغنياء" وأخرجه الترمذي والحاكم والبيهقي نحوه، و زادوا "ولا تستخلفي ثوبا حتى ترقعيه" وذكر رزين فزاد فيه، قال عروة: فما كانت عائشة تستجد ثوبا حتى ترقع ثوبها وتنكسه، ولقد جاءها يوما من عند معاوية ثمانون ألفا فما أمسى عندها درهم، قالت لهاجاريتها أفلا اشتريت لنا منه لحما بدرهم؟ قالت لو ذكرتني لفعلت، وأخرج الطبراني عن أبي جحيفة رضي الله عنه، قال: "أكلت ثريدة بلحم سمين فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا أتجشأ، فقال أكفف عنا جشأك أبا جحيفة، فإن أكثر الناس شبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة، فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا، كان إذا تغدى لا يتعشى وإذا تعشى لا يتغدى .

عن ابن عمر رضي الله عنه أن عمر رأى في يد جابر بن عبد الله رضي الله عنه درهما فقال:"ما هذا الدرهم؟ قال أريد أن أشتري لأهلي به لحما قرموا إليه، فقال أكلما اشتهيتم شيئا اشتريتموه؟ أين تذهب عنكم هذه، قول الله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] .

وأخرج عبد الرزاق وأحمد في الزهد والعسكري في المواعظ وابن عساكر عن الحسن قال: دخل عمر على ابنه عبد الله رضي الله عنهما وعنده لحم، فقال: ما هذا اللحم؟ قال: اشتهيته، قال وكلما اشتهيت شيئا أكلته؟ كفى بالمرء سرفا أن يأكل كل ما اشتهاه .

إن المحب لمن يحب مطيع

قال الإمام الشافعي يندد بالنفاق والمنافقين :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه
هذا محال فى القياس بديع
لوكان حبك صادقاً لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع
فى كل يوم يبتديك بنعمة
منه وأنت لشكر ذاك مضيع

(ديوان الإمام الشافعي: ١٧٨)

القرآن العظيم ونظام الكون

بصائر إعجازية جديدة في القرآن حول كثرة الأراضي المدحوة في السماوات

(الحلقة الأخيرة)

بقلم: الأستاذ سعيد الرحمن بن محمد شهاب الدين الندوي
(الأمين العام للأكاديمية القرآنية، بنجلور، الهند عضو الهيئة العالمية للإعجاز في القرآن والسنة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة)

٨- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس:٣].

إن ما خلق الله في ستة أيام ثم استوى على العرش هو جميع السماوات وما فيها من الأجرام السماوية والأراضي، ومع ذلك لم يورد بهذه المناسبة لفظ [الأرض] إلا بالمفرد.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء :٣٠].

إن المادة المتركبة التي تشير إليها هذه الآية هي تحتوي على مادة سائر السماوات بالإضافة إلى سائر الأجرام السماوية وجميع ما فيها من الأراضي قبل خلقها، ولكن [الأرض] هاهنا أيضا جاءت مع صيغة المفرد.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧].

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

إن وقوع القيامة يعم جميع السماوات وما فيها من الأجرام، ومع ذلك سيق لفظ [الأرض] مع صيغة المفرد.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة :٢٥٥].

إن كرسي الله تبارك وتعالى قد أحاط بالسماوات السبع وما فيها من الأجرام، ولكن لفظ [الأرض] قد سيق مع المفرد هنا أيضا، فيثبت من ذلك أن كتاب الله عزوجل لم يأت بذكر [الأرض] إلا من حيث الجنس بوجه إعجازي، ويسعنا التأويل العقلي هنا أن لفظ [السماوات] لا بد أن يسع جميع ما في السماوات من الأراضي

الأخرى لأجل أن أرضنا نفسها أيضاً تقوم من الأراضي الأخرى مقام السماء، ورغم أن الأمثلة في القرآن الكريم من هذا القبيل أيضا متوافرة. كما سيقت الآية من سورة لقمان ضمن العدد الخامس. ولكن هذا التأويل لا يظهر مفهوم كتاب الله تعالى في هذا المعنى إلا بصفة جزئية، وذلك لأن الآيات التي أريد فيها تعدد الأراضي بلفظ [الأرض] وحده دون ذكر السماوات يفشل ويعجز هذا التأويل فيها، وسنقدم الآيات الكثيرة من هذا القبيل في مواضعها إن شاء الله في الصفحات الآتية ما يزيد هذه الحقيقة جلاءاً ووضوحا، فلذلك إن [الأرض] تعد اسم الجنس ما دام لا يعلم بقرائن أخرى أنه لم تُرد به إلا هذه الأرض وحدها، إلا أن المواضع التي سيق فيها تركيب [السماوات والأرض] أو وردت [الأرض] في سياق [السماوات] فلا يكون المراد فيها إلا جميع السماوات وما فيها من سائر الأراضي حتما، وهكذا تركيب [السماء والأرض] أيضا يدل على نفس المفهوم لكون [السماء] فيه اسما للجنس، وقد يأتي تأكيد ذلك بتركيب [السماوات والأرض وما بينهما] أو [السماء والأرض وما بينهما] أيضا.

هذا كان من بعض الإرشادات الإلهية عن طريق الألفاظ والتعبيرات الحقيقية ما يدل على كثرة الأراضي، وهناك كثير من الآيات أيضا ما يثبت وجود الأراضي بألفاظ وتركيبات مجازية نقدمها في الأبواب القادمة في مواضعها - إن شاء الله -.

فيثبت مما تقدم من البحث مدعوماً بالدلائل أن القرآن العظيم عند تناول كثرة الأراضي بالذكر يستخدم متعمداً ألفاظاً حكيمة وتعبيرات بليغة تحت حكمة بالغة، عددها الحقيقي وإن لم يتضح على المتقدمين بدقة ولكن حينما يتقدم المتأخرون في العلوم والفنون ويتمكنون إلى حد من الوصول إلى هذه الحقيقة بحكم العلم الجديد يتجلى مفهومها كل الجلاء أمامهم وينكشف القناع عما فيها من إعجاز علمي حديث تمام الانكشاف، وكان مقصود كتاب الله تبارك وتعالى من اتخاذ هذا التدبير هو أن يتمم الحجة على المنكرين بواسطة تقديم حقائق عميقة حاسمة عن ذاته وذات الإنسان في ضوء التجاوب الباهر الجلي بين العلم العقلي والعلم النقلي حتى لا يكون قد بقي عذر للمنكرين في تكذيبه، وسنتناول هذه الحقائق بالبحث في كتاب إن شاء الله، والآن لاحظوا الآية التالية التي تشير إلى نفس المقصود الإلهي بنص صريح وتزيد نظريتنا قوة.

٩- ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

إن لفظ [الآفاق] هاهنا يفيد معنى ضواحي السماوات والأرض باعتبار الدراية والرواية كلتيهما:

"ما ظهر من نواحي الفلك وأطراف الأرض" (لسان العرب، تاج العروس).

"ما ظهر من نواحي الفلك" (القاموس المحيط).

"أقطار السماوات الأرض" (السيوطي والقرطبي عن عطاء وابن زيد).

يتبين من ذلك أن الآيات الإلهية بضواحي السماوات والأرض التي يعلن القرآن عن إيضاحها على المتأخرين بصراحة بعد إخفائها على المتقدمين هي ليست إلا هذه الكائنات العملاقة بذاتها وما فيها من الأراضي غير المعدودة التي كانت مخفية عنا حتى الآن كما قد اتضح بالأعداد السابقة، ولا يغيبن عن البال أن الآيات المذكورة ضمن العدد الخامس التي تم الإخبار فيها بوجود الأراضي العديدة في جميع السماوات السبع إذا كانت تتعلق ببدء سورة فصلت، فهذه الآية التي نحن بصددها الآن أيضاً تتعلق بختام نفس السورة، مما يلقي ضواءاً جديداً على استدلالنا ويزيده قوة، وبذلك يتمتع عمل المؤلف الجاري بتأييد الله تبارك وتعالى، ونصرته بهذا الدليل الهام المنصوص، ثم قوله تعالى ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ يبين الغرض الذي كان مضمراً وراء هذا الإخفاء والإظهار الحكيم من أن الحقائق التي كانت قد أخفيت على المتقدمين تظهر على المتأخرين في ضوء العلم الحديث ليتجلى أمامهم الإعجاز العلمي الباهر لكتاب الله تعالى وتنشرح قلوبهم بأنه الحق ومنزل من نفس الذات الإلهية التي خلق جميع الكون أيضاً، ثم بقوله ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يوجه السؤال إلى الإنسان بطريق إقامة الحجة عليه، هل بعد أن قد تجلى أمامه التجاوب الكلي والانسجام الدقيق بين علمه الذي كسبه عن طريق التجارب والمشاهدات والعلم الذي أنزله الله تعالى من عنده يعترضه الشك تجاه علم الله القطعي مما يحيط بجميع مظاهر الكون؟ وهل هذا العلم الشامل المتكامل لله تبارك وتعالى لا يدل على خلاقيته وربوبيته، وبالتالي على ألوهيته ومعبوديته؟ ولذلك يدعي كتاب الله عزوجل في موضع آخر معلناً عن كشف هذه الآيات في المستقبل بأنها تكون بينة وباهرة يعني ملائمة مع علم الإنسان بدرجة حتى يعرفها الكفار والمنكرون أيضاً تمام المعرفة.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].

مما يسترعي الأنظار إلى أن العقل الإنساني والعلوم الطبيعية أجدر استدلالاً واحتجاجاً عند كتاب الله في هاتين الآيتين من هذه الناحية، وبلغت حجيتهما إلى حد أن الإنسان يسعه أن يتوصل بهما إلى معرفة دلائل الربوبية من رب العالمين، ويستطيع بجعلها مقياساً للعدل أن يصل إلى أعماق كتاب الله تعالى وصدقه، ولله در العلم الإنساني إلى أين بلغ من المكانة، زاد الله درجات والدي العظيم العلامة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي قرباً، وأمطر على قبره شآبيب رحمته، إذ أنه كان قد وفق في مسعاه إلى المعرفة بهذه الحقيقة قبل نصف قرن، فجزاه الله عني وعن الإسلام والمسلمين خيراً ورحمه رحمة واسعة، وغفر له وأسبغ عليه نعمه وأدخله في فسيح جناته!

وعند إلقاء نظرة على هاتين الآيتين من هذا العدد من زاوية أخرى يتبين أنه يعلن فيها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخاطبة الكفار والمنكرين من أن

هذه الآيات الإلهية ستنكشف في المستقبل، وأن الكفار سيعرفونها ويحصحص لهم الحق، فيعني ذلك طبيعياً أنهم سيعرفون صدق كتاب الله في ضوء علومهم بأنفسهم، لو كانت هذه العلوم بمتناول أيدي المسلمين لم يكن لها ذلك التأثير المطلوب، فالظاهر من ذلك أن العلوم الطبيعية كونها في حيازة المنكرين والمعاندين وقت ظهور الإعجاز العلمي لكتاب الله لا يخلو من حكمة الله البالغة وتخطيطه الدقيق، والحكمة في ذلك أن يتم الحجة على المعاندين حتى لا يبق لهم عذر في تكذيب كتاب الله بعد أن عرفوه في ضوء علومهم بأنفسهم وفقاً لقوله تعالى ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ لا يكون إتمام الحجة عليهم كاملاً ولا يتم ظهور الإعجاز العلمي لكتاب الله تماماً عن طريق الانسجام بين العلم الموهوب والعلم المكتسب إلا إذا كان بأيدي المؤمنين أولهما وبأيدي المنكرين آخرهما، فتأمل الآن هاهنا أن علماء الطبيعة المنكرين كم يخدمون الإسلام وكتاب الله العظيم رغم تطور علم الطبيعة ورقيه، من حيث لا يشعرون؟ وكم يجمعون الدلائل القاطعة والبراهين الساطعة على صدقه وكونه ملائماً مع الفطرة من حيث لا يعلمون؟ فهل هناك في العصر المعاصر معجزة لكتاب الله تعالى أكبر من ذلك، وهل هناك طريق لإتمام الحجة على المنكرين والماديين المستنيرين أنفع من ذلك حيث إنهم يساقون بعصاهم أنفسهم وتقام الدلائل منهم على أنفسهم، فليس على الله الكريم بعزيز أن يجعلهم يبهرون بهذا الإعجاز العلمي لكتابه يعجبون به أيما إعجاب، حتى تستسلم طائفة كبيرة سليمة العقل وكريمة النفس منهم للإسلام وتشهد بخالق الكون ورب العالمين!

وتجدر الإشارة هاهنا إلى أن ما حدث من التغير أو الاتساع في مفهوم بعض الآيات القرآنية ومدلوله في العصر الراهن هو لا يقدح شيئاً فيما قد فهمه من مضى من المفسرين والسلف الصالحين بهذه الآيات، وذلك لأنه يظهر من الأسلوب المفعم بالحكمة والموعظة ما يختاره القرآن في مقام التعرض لكشف الحقائق الكونية الجديدة، وكذلك يظهر مما تقدم من التصريحات الدالة على انكشاف نفس هذه الآيات الإلهية في المستقبل أن المدلول الذي فهمه المفسرون القدامى، منها في أزمنتهم كان صواباً وحسناً أيضاً، وأيضاً لأن معنى القرآن بصفته حياً وسرمدياً ليس سوى أن يدوم فعالاً ومتجدداً ومشرقاً يزود النوع الإنساني بالدلالات والإرشادات على امتداد الزمان في سبيل تقدم العلم حتى لا يشعر الإنسان بإفلاسه في أي مجال من العلم والعقل والأفكار والنظريات والدلائل والبراهين، فكلما تجددت معاني القرآن في أي عصر من العصور وفق أصول التفسير المحكمة المتداولة لا بد أن نعتبر ذلك أيضاً من عند الله تبارك وتعالى، وينبغي أن يعلم هاهنا أيضاً أن أصول التفسير التي نعتمد عليها اليوم لفهم القرآن ودراسته، إنما رتبها ووضعها العلماء المتقدمون بأنفسهم، وهذه الأصول باعتبار شمولها وجامعيتها ثابتة مستقرة في كل عصر لا تتبدل ولا تختلف، وأما الاختلاف في القرآن فليس له إمكان واحتمال فحسب، بل

هو مستحسن من عدة وجوه أيضاً، وتاريخ التفسير الممتد على أربعة عشر قرناً ناطق بذلك وشاهد صدق عليه، هاهنا يتأكد المؤلف من أن نزول القرآن الذي كان قد أكمل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم هو لا يزال جارياً معنوياً حتى اليوم من حين إلى آخر بكامل رونقه وبهائه، ولايزال جارياً حتى يوم القيامة، أي أن ألفاظ القرآن تبقى كما هي ولا تتغير أبداً، ولكن معانيه لا تزال تتجدد بتراخي الزمن، وإلى ذلك أشار القرآن بنص صريح في قوله:

١٠- ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة:١٦-١٧].

فالآية ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ تشير إلى أن الله تبارك وتعالى لم يخص توضيح القرآن وتبيينه إلا لذاته، وهذا التوضيح أي نزول القرآن المعنوي من جديد يمكن حصوله متى شاء الله أن يحصل في حين من الأحيان، لأن حرف ﴿ثُمَّ﴾ تفيد معنى التراخي أيضاً إلى جانب معنى الترتيب، وعلى هذا تنطبق هذه النبوءة على وجه الخصوص على النبوءات التي تقدم بيانها في الآيتين المذكورتين ضمن العدد السابق بقول ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾ و﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ وغيرهما مما تتجلى به صورتها العملية أيضاً، ومن الطبيعي أيضاً أن هذه الآيات الربانية والمعجزات الإلهية حينما تظهر في المستقبل على المعاندين والمنكرين في ضوء علومهم وفنونهم وتتجلى أمامهم وفق عقولهم وأذهانهم فلا تظهر إلا على أساس نزولها المعنوي وشرحها الجديد من عند الله عزوجل.

ومن الحقائق الثابتة أن الإنسان المعاصر رغم أنه محظوظ بمعلومات كثيرة بفضل تقدم العلم وتطوره إلا أن السلف الصالحين والأئمة كانوا أكثر منا تفوقاً في نظرهم الثاقب نحو الدين وتبصرهم في العلم، وذلك لأنهم قد عاشوا، والعلم كان في أولى المراحل، وقاموا بخدمة كتاب الله العظيم ببالغ ثبات ومثابرة، وصرفوا عنايتهم - رغم ما يواجهون من الصعوبات الفكرية والنظرية والمشاكل اللفظية والتركيبية - إلى إبعاد الأمة عن الاختلاف والانحراف بالقدر الذي لا يوجد له مثال في التاريخ الإنساني، فليس ذلك إلا معجزة لكتاب الله تبارك وتعالى، فضلاً عن تلك الأسس التي نبني عليها بناءنا العلمي مزودة من قبل نفس هؤلاء السلف الصالحين، فتأملوا فيما إذا كان واحد من هؤلاء الأئمة من الرازي أو الغزالي أو الدهلوي حياً في هذا العصر أو أعطى العلامة النِدوي بنفسه حظاً من هذا العلم فكم كان يزدهر هذا العلم ازدهاراً بفضله ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

على أنه يحتمل هاهنا التأويل وفق قول النبي صلى الله عليه وسلم "القرآن ذو وجوه" بأن السلف الصالحين رأوا وجهاً من القرآن بينما برز أمامنا وجه آخر مفعم بالعلم، ولا يعزين عن البال أن هناك آيات كثيرة لم تزل آراء المفسرين والمحققين في مدلولها الحقيقي متضاربة من أول اليوم، ولم يتفقوا على معنى واحد منها، بل

إنما نقلت عنهم في كل آية من هذه الآيات أقوال مختلفة بُنيت أكثرها على أنواع مختلفة من التأويلات المجازية أو التفسير بالرأي، على أنني قد حاولت بما في وسعي حتى الآن وسأحاول في كتاب مستقل إن شاء الله أن تحمل الألفاظ القرآنية على معناها الحقيقي وفق القاعدة الأساسية الأولى من أصول التفسير "القرآن يفسر بعضه بعضاً" ويفسر ما غمض من كلام القرآن وبيانه بربط الآيات بعضها مع بعض في ضوء سياقه وسباقه، أو ببيان لائق آخر من القرآن الكريم، ويُجمع ما يتناثر من الشذرات القرآنية من هذا القبيل عن طريق منظم متعمد بغية الحصول على هدف جليل ليعود وجه الإعجاز العلمي للقرآن جلياً باهراً أمام النوع الإنساني.

فهذه الحكمة لله تبارك وتعالى فيما تعمد بتفريق أحكامه وإرشاداته في سائر القرآن بصفة جزئية، تعمل في سائر المباحث القرآنية، سواء أكانت تلك تتعلق بأي حكم من أحكام الطهارة والصلاة والصوم والزكاة، والحج، والطلاق، والنفقة والوراثة، وإلى غير ذلك أم تتعلق بالأمور الفكرية والتنظيرية أو بالأمور الخلقية والاعتقادية أو كانت تتعلق بقصص الأنبياء وتاريخ الأمم، ليس من هذه الأمور أمر جمعت سائر الأحكام بخصوصه في مقام واحد من القرآن، فإذا أوثرت هذه الطريقة من التعبير في بيان المسائل الشرعية العادية فكيف بالأمور الفكرية والنظرية والعلوم الإعجازية ؟.

الأماني الكاذبة

يعد الشيطان أولياءه بأنه لاجنة ولا نار، أو يهون النار على قلوبهم فلا يخافونها ولا يقدرونها حق قدرها، فيجترؤن على المعاصي، ويمنيهم النجاة من عاقبة أعمالهم، ويزرع في قلوبهم أن اعملوا ما شئتم من المعاصي فإن لكم رباً غفوراً، وينسون أنه شديد العقاب.

كما أنه يمني بعض الدعاة بملاذ الدنيا من الأولاد والتجارة وطلب الرئاسة، فيتركون الدعوة ويستسلمون لهذه الأماني التي تجذبهم إلى الأرض، فينسون السماء:

ونستلذ الأمانى وهى مردية
كشارب السم ممزوجاً مع العسل

يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً (النساء : ١٢).

(البيان فى مداخل الشيطان للأستاذ عبد الحميد البلالى : ٩٠).

ملامح التزكية في الصيام وبعده !

الدكتور جمال الدين الفاروقي، ويناد، كيرالا (الهند)

إن الهدف الأسمى من حياة المسلم أن يكون مصدراً لكل الأفكار والأعمال الصالحات التي تقرّبه إلى الله وتحببه إلى الناس، يندفع إليها بهمته الإيمانية محتسباً أجره من الله كما ينبغي أن تصرفه هذه الهمة عن الرذائل والفواحش والسيئات التي تشين شخصيته وتجلب إليه مقت ربه، والمسلم الذي يحقق ذلك الهدف بإيمانه يستطيع أن يصنع العجائب، ويجب أن يكون ذلك الإيمان قوياً فاعلاً نشيطاً، ولا سبيل إلى تنشيطه إلابتزكية النفس التي يستخلصها من العبادات فتزيد الإيمان بهاء وإشراقاً، والإسلام يريد أن يبلغ المسلم بعباداته غاية التقوى والتزكية، ومجرد الانتماء إلى الإيمان لا ينفعه ولا يقبل الله منه، وقد أنكر الله قوماً تظاهروا بالإيمان، ولم يدخل ذلك صميم قلوبهم حيث يقول تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤] وعلى هذا تحتل تزكية النفس مكانة ملحوظة من بين الأهداف التي تصبو إليها البعثة النبوية كما يشير إليها القرآن: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:٢]، وقد تحققت هذه التزكية في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بفضل إقبالهم على الفضائل وإقلاعهم عن الرذائل، حتى صاروا من أفضل الأمم عقيدة وشخصية وأخلاقاً، تدل عليه شهادات المؤرخين والعلماء الاجتماعيين في العالم.

وشهر رمضان العابق بالخير والبركة هو الشهر المختار الذي اختاره الله ورسوله للمسلمين للاستزادة من الإيمان والتقوى وللتركيز على الأعمال الصالحات، وأيامه حافلة بذكريات التضحية التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة معه للدفاع عن الإسلام، وبذلوا في سبيله نفسهم ونفيسهم، وقد شهد هذا الشهر مواقف حاسمة للفتوحات والنصر ما لم يكن في سائر الشهور، وكل يوم فيه - نهاره وليله - غسيل للقلب وتنقية له مما علق به من أوضار الدنيا وشهوات النفس، فيستطيع المسلم أن يتطهر بقلبه وقالبه ويملأ ضميره بالأفكار المثمرة التي تنبثق من إيمانه وتدعمها أعماله وتصرفاته مع الآخرين، كما أن هذه الأيام جعلها الله تعالى للجد والكد والعمل الدؤوب، بالقلب والجوارح، لكي يقدر أن يكسر الأهواء وينشط النفس بالتضرع والابتهال إلى الله، مما يجعل للصوم

دوراً رقابياً في حياة المسلم لالتزامه الديني.

علاقة الإيمان بالتزكية:

والإيمان ينبغي أن يتنشط دائماً في حياة المؤمن، وينبغي أن يكون هو المحرك لكل المبادرات الطيبة، وهناك يتحول الإيمان إلى حالة التزكية التي تتمثل في السلوك والأخلاق أكثر بكثير من العبادات، لأن العبادات لا يعلم إخلاصها والخشوع فيها إلا الله، وليس في إمكان الواحد أن يقيس تزكية أخيه بمجرد الوقوف على عباداته، بينما يمكن أن يتأكد ذلك من مجرد كلمة يلفظها لسانه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم:٣٢].

وقد ورد ذكر الإيمان في القرآن مقترناً بالأعمال الصالحات والعبادات، وهو إذاً يبقى بمثابة الوقود الذي يوقد الضمير ويوقظ الشعور وينور العقل ويقوم السمع والبصر، وهذا هو المجال الذي نلمس فيه ملامح التزكية، التي هي الطريق إلى النجاح في الدنيا والآخرة، والله يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ❖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى:١٤- ١٥].

ورمضان الذي أهلّ علينا سيتيح لنا من فرص التزكية أكثر من أي شهر آخر، وصيامه في طليعة العبادات التي تضمن للمسلم قلباً سليماً وعقلاً واعياً وضميراً وازعاً، يأتي مرة واحدة كل عام ليفتح أبواب الخير والسعادة لمن يريد التقرب إلى الله وكل العبادات والأعمال الصالحة يضاعف ثوابها في هذا الشهر، وتكون الشياطين مصفدة في الأغلال، وقد أجمع علماء الطب الحديث على أن الصيام هو من أكثر وسائل العلاج أثراً في تنشيط الأعصاب وتنظيف خلايا الجسم، وأنسجته من المواد المسمومة، والصوم بذلك يتيح للمسلم أن ينسجم مع النظام الإلهي المودع في جسمه، ولكن الأهم من ذلك فوائده النفسية التي تتمثل في التزكية، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" (رواه البخاري) وقوله هذا يبين لنا كيف يهتدي المسلم بصيامه إلى تزكية نفسه، وهو يمسك لسانه، ولا ينطق إلا بالحق والبر، واللسان أبرز مجال التقوى والتزكية، ذات مرة جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "أوصني، فقال: عليك بتقوى الله، وإن امرؤ عيّرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيّره بشيء تعلمه فيه، يكون وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيئاً"[1].

والنبي يربط التقوى هنا بحفظ اللسان، وهذا الحديث النبوي يجسد كيف يعمل التقوى في حركات اللسان وسكناته وكيف يستطيع المسلم بذلك أن يبلغ درجات التزكية، ونصيحة عمر رضي الله تدلنا على خطورة الأمر إذا أهملنا تزكية اللسان وهو يقول: "من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل

[1] - رواه الطبراني بإسناد صحيح.

حياؤه ومن قلّ حياؤه قل ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه" وكل صوم من رمضان يمكن المسلم من حفظ لسانه والاحتفاظ بتزكية قلبه، وفي غيابها يموت القلب، وهو أدهى وأمر من الموت الحقيقي.

وقوله صلى الله عليه وسلم في خلوف الصائم هو الآخر دليلاً على مدى التزكية التي يكتسبها المسلم بحفظ لسانه وهو يقول: "لخلوف الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وهذا الحديث له مفهومه الظاهر المعروف، والأهم من ذلك مغزاه الحقيقي، والذي يثرثر في كلامه ويصيب به عرض الآخرين وينال من حرمتهم، يكون لسانه متعفنا، والنتن يخرج من فمه، والصائم يكسب خلوفه الذي يفوق المسك بحفظ لسانه.

والصوم بهذه المزايا يجزل لصاحبه الثواب، وهذا الثواب لا يقدره إلا الله، ويقول صلى الله عليه وسلم عن ربه عزوجل:"الصوم لي وأنا أجزي به" والظاهر أن كل العبادات يقصد بها وجه الله، وما هي الحكمة في قوله صلى الله عليه وسلم؟ وهي لم تكن شيئا إلا التركيز على أهمية الصوم من حيث تزكية النفس وإصلاح الباطن، وكل العبادات والشعائر الكبرى يقوم به المسلم بمشهد من الناس، بينما الصوم لا يستطيع أحد التمييز بين من صام ومن لم يصم، وإنما يعرفه الله تعالى وحده، وحديث آخر روي عنه صلى الله عليه وسلم يمثل هذه التزكية التي ينبغي أن ينالها المسلم من خلال صيامه، وهو يقول كما يرويه البخاري ومسلم:"للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه" الفرحة الأولى المشار إليها في الحديث نشعر بها، نحن كل يوم في رمضان حين نفطر، بل في الحياة كلها، حين نأكل ونشبع بعد جوع طويل، وهذه الفرحة الغريزية تنشأ من التلذذ بالطعام حتى ولو لم يكن صائما ليشعر بها، ولكن الذي يخلد هذا الفرح، ويجلعه باقيا إلى يوم القيامة هو روح التزكية التي يتركها الصوم في صاحبه طول الحياة، والإمام ولي الله الدهلوي يعلق على هذا الحديث ويقول:"الأولى طبيعية من قبل وجدان ما تطلبه نفسه، والثانية إلهية من قبل تهيئته لظهور أسرار التنزيه عند تجرده عن غواشي الجسد وترشح اليقين عليه من فوقه"(1).

وهذه الفرحة الثانية هي التي تتمثل في الآية الكريمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ❖ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

ولا يستطيع المسلم أن يفرح أمام ربه يوم القيامة إذا ضاعت هذه التزكية، والسؤال الذي يجب أن نتساءل أنفسنا هو: كم منا يتأهل لتلك الفرحة الثانية حين يلقى الله مع أننا تمتعنا بالأولى في كل رمضان مضى في حياتنا؟

الابتعاد عن المعاصي:

وقد وضع الإسلام سلوكيات رمضان بحيث يتمتع بها كل صغير وكبير من

1- حجة الله البالغة، الجزء الثاني، ص:٥١.

هذه الأخلاق، مثل حسن الظن وإيثار الحق والصبر والتسامح وانشراح الصدر وتجنب الكذب والغيبة، وما إلى ذلك مما يلتزم به المسلم طول رمضان حرصا على قبول صومه، والرجل الذي يتساهل في مثل هذه الأمور بعد رمضان لا يستحق تلك الفرحة الثانية أمام الله، وما أكثر ما يقع الإنسان في مثل هذه الزلات لعدم انتباهه إلى خطورتها، ولابد أن تكون التقوى هي الدافع إلى تزكية النفس، والتقوى الحقيقية ليست إلا الشعور الدائم بأن الله معنا حيثما كنا، ولا يعزب عنه شيء من أعمالنا وأفكارنا، وهذا الوازع الإلهي يضيئ قلب صاحبه ويقوده دائما إلى الآداب والسلوك الطيب، ويكشف له خبايا الشيطان المارد، ومن كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ.

والآيات الخمس الواردة في شأن الصيام تجدر بدارسة من هذا المنظور، بدءاً من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣]. وتنتهي هذه الآيات الخمس في قوله تعالى:﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ والركيزة الأساسية للصوم ليست شيئا إلا التقوى، وهو إذا أكثر العبادات إنتاجا للتقوى، كما أن التقوى ينبغي أن تتمثل في تجنب الفواحش والرذائل أكثر من أن يكون دافعا للأعمال الصالحات، والذي يسمع الأذان يسرع فورا إلى المسجد لنداء من ضميره، ويستقبل رمضان بصيامه وقيامه، وهذا من مظاهر التقوى.

أما إذا كان ذلك الرجل يتسامح مع المنهيات ويصاحب المنكرات فإنه ما بلغ من التقوى عشر معشاره، هذا ما نشهد في المجتمع المسلم المعاصر، ولذلك يقول الله تعالى تعقيبا لآيات الصوم: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨]، والآية تشير إلى أن الإنسان يكون أكثر تعرضا للأخطاء والزلات في المعاملات المالية، وهي المجال الوحيد الذي يدفع الإنسان إلى ارتكاب الكبائر والموبقات، فيذهب عنه طهرة الصوم إلى الأبد، وإليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم :"رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، و رب قائم حظه من قيامه السهر" (رواه أحمد).

وكل صوم في رمضان طوله أربع عشرة ساعة، بل يزيد عليها في بعض المناطق، وهذه الفترة الطويلة للصوم يجب أن يقضيها المسلم في التقوى التي تُريه عيوب نفسه، ويرى أن كل صغير وكبير يخالف هذه التقوى ويقضي على ثواب الصوم، وهذه الفكرة يقوده إلى محاسبة النفس وإصلاح الباطل، وإحياء ليالي رمضان، وخصوصا ليلة القدر منه، يزيد من عمق هذه التقوى فيصير صاحبها في تزكية نفسية دائمة لأن التقوى تزداد كلما يجد فرصة مواتية للتقرب إلى الله، والله يقول:﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧].

والتزكية تتمثل كذلك في البعد عن الشهوات التي تصدر من الشيطان، وقد

قال صلى الله عليه وسلم :"فإن الصوم وجاء، "جاء ذلك في معرض كلامه عن الزواج وحث الشباب عليه، وكثيراً ما نرى الناس يتهافتون على الملذات ويتسارعون وراء الشهوات في ليلهم ونهارهم، وهل هناك رياضة أخرى أكثر تأثيراً من هذه الرياضة الإلهية التي يستطيع بموجبها أن يتجنب كل الفواحش بمجرد قوته الإيمانية، ومادام الإنسان قادراً على أن يملك رغبته ورهبته وشهوته، فإنه هو الوحيد الذي ينجح في الدنيا والآخرة، فتكون هذه القدرة المكتسبة هي الأخرى وسيلة له لتلك الفرحة الثانية يوم القيامة .

ونستعرض أيضاً من منظور التزكية ما قال صلى الله عليه وسلم فيمن أهمل وتساهل في هذا الشهر العظيم، ولم يعطه حقه، وهو يقول: "رغم أنف رجل دخل عليه رمضان، ثم إنسلخ منه ولم يغفر له" (رواه الترمذي) الرجل المشار إليه في الحديث ليس مارقاً عن الدين، وليس له ذنب إلا أنه أغمض عينيه عن الفضائل وأرسل عنانه في الرذائل مما فاته جميع وسائل التزكية، وأصبحت حياته كومة من الآثام، ورمضان وغيره من الشهور سيان لديه، وإن الغفران لا يستحقه إلامن أناب إلى الله بقلب خاشع، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات .

فصوم رمضان - كما قال العلامة الإمام ولي الله الدهلوي:"ترياق يستعمل لدفع السموم النفسانية"، وهو هبة إلهية ونفحات ربانية يستلهم منه المسلم المخلص دروس التضحية والتزكية النفسية والجسمية، والطاعة والتواضع والإنابة، ويبلغ بها شاطيء الأمان في الدنيا والآخرة، وله يفتح باب الريان يوم القيامة، ولمثل هذا فليعمل العاملون.

ان شعبا لا يعقل يُصرع

لقد سلط الله الأمم قديماً على بنى إسرائيل ، وأوقعوا بهم وقائع تشيب لهولها الولدان ، أزهقوا الأرواح وهدموا العمران وخربوا المسجد، وأخرجوهم من فلسطين أذلاء مقهورين مغلوبين .

لقد بقوا قروناً يعانون من الشدائد العظمى والمصاعب الكبرى ، وداسهم الآشوريون والمصريون والبابليون والآراميون والبطالسة والسلوقيون والرومان ثم فيما بعد الأمم الأوربية .

كان ما أصابهم بما كسبت أيديهم ، وأدركوا هم ذلك واعترفوا به ، ونددبهم أنبياؤهم ، لكنهم لم يتعلموا أبداً ،ولم يغيروا من مسلكهم العدوانى ومن سيرتهم الفاسدة :لم يتعلموا ، ولم يرشدوا ، ولن يتعلموا ، ولن يرشدوا ، وهم إلي النهاية مستمرون فى تمردهم على شرائع الله وأحكامه ، وقديماً قالت بهم أسفارهم : إن شعباً لا يعقل يصرع .

لقد صرعوا قديماً ، وستصرعهم إرادة الله حديثاً ، وسوف يستمرون فى هذه الدوامة إلي الأجل المحتوم .

(لتفسدن فى الأرض مرتين للأستاذ محمد علي دولة : ١٨ - ١٩.)

التمثيلات في القرآن الكريم

سمية رياض الفلاحية
الباحثة في قسم اللغة العربية جامعة على جراه الإسلامية (علي جراه)

القرآن الكريم كتاب منزل من الله العظيم، بلسان عربي مبين بواسطة الروح الأمين على سيدنا وسيّد المرسلمين، منجما في عدد سنين الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢] .

وأن القرآن هو كتاب هداية وإرشاد للتي هي أقوم، جعله الله دستوراً للمسلمين ومنهاجا لسيرهم، به يرتقون إلى الأوج والازدهار، ومنه يأخذون طريقا للدعوة إلى التوحيد وعليه يضعون معايير تهذيب النفوس، وبه يحلون أنفهسم بمكارم الأخلاق ومنه يتخذون ميزان الإنصاف، فهو أصدق المصادر وأوثق الإسناد وأصحها على الإطلاق .

وليس القرآن منهجاً ودستوراً فحسب، وإنما هو أبلغ الكلام وأفصح بلا شلك حيث يقدّم رسالته في غضون التاريخ والأحكام والقصص والأمثال والعبادة والفضائل، كما يذكر صاحب الإتقان "وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولى الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلى من علم حصرها، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول وتسلب القلوب"(١) .

فالقرآن كما هو منبع العلوم ومأخذها فاشتق العرب منه علوماً مختلفة كالتاريخ والآداب والبلاغة والبيان والقصص والأمثال، والآن أنا لست بصدد بيان هذه الفنون كلها، بل في معالجة التمثيل فسأتناول التمثيل في القرآن ونمطه.

والأمثال أو التمثيل من لون البلاغة، تشغل مساحة كبيرة في حقول العلم والأدب والمعرفة، وتستعمل عند الصغير والكبير، وعوام الناس وخواصهم، لأنها أقرب إلى الأذهان وأذكى للفهم، فهي سارية المفعول على ألسنة الشعراء والأدباء والخطباء والحكماء منذ عصور قديمة، ولا تخلو أية أمة من الأمم الغابرة أو الحاضرة من هذا اللون الرائع، والقرآن أروع البيان وأفصح اللسان الذي أدرك وعي الناس فاستخدم طريقة الأمثال كما في قول عز من قائل: ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ

الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم:٢٥] . و:﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٥] . فإنها منشورة في ربوع القرآن، مرتبطة بين المثال والمعنى الممثل له حيث يلبس نسيجاً ماديا محسوسا يتصوره الذهن ويألفه الخيال .

وقبل الخوض في المقصود علينا أن نقدم معنى المثل لغة واصطلاحاً.

المثل في اللغة:

المثل مشتق من المثول، أي الانتصاب كما جاء في "مجمع الأمثال" سمّيت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالاً، لانتصاب صورها في العقول مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب (٢) .

ويبدو من مختلف المعاجم، كلسان العرب والقاموس المحيط أن "المثل" له معاني متباينة، مثل النظير والصفة والعبرة وما يجعل مثالاً لغيره يُحذا عليه إلى غير ذلك من المعاني(٣) .

وتأتي معان مختلفة للمثل عند بعض العلماء كالسنن والعبرة والصفة والعذاب والضعف والضُعف كما استعملها القرآن الكريم وفق الضروريات والمقاصد، مثل﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ [البقرة:٢١٤] . أي سنن الذين خلوا، وكذلك ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف:٥٦] .أي عبرة، أو﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩]، يعني صفتهم، أو﴿ضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، أي وضعنا لكم العذاب، أو: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وهو بمعنى الضعف .

وعلى الرغم من ذلك تدل بعض آراء أصحاب المعاجم على أن المثل له معنى واحد وهو أن يكون الشيء نظيراً للشيء، كما قال ابن فارس: "مثل" يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره والمثل والمثال بمعنى واحد(٤) .

المثل في الاصطلاح :

قسم من الحكم، يعبّر عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر، والمثل يختلف من الحكمة لما فيه من شيوع وانتشار وكثرة الدوران على الألسن في المناسبات المختلفة، كما يعرّفه البعض: أنه اسم لنوع من الكلام وهو ما ترضاه العامة والخاصة لتعريف الشيء بغير ما وضع من اللفظ، يستعمل في السراء والضراء وهو أبلغ من الحكمة..... (٥) مثل: اسمع من قراد، وأطيش من فراشة ونحو ذلك

وقال ابن السكيت (المتوفى عام ٢٤٤): المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره (٦) .

وقال ابن عبد ربه: هو وشي الكلام، وجوهر اللفظ وحلي المعاني (٧).

أقسام التمثيل:

إن التمثيل صراحة تكوين الشيء شيئاً آخر بطرق عديدة مثل التشبيه أو الاستعارة أوالمجاز أو غير ذلك، وله أقسام:

التمثيل الرمزي:

وهو ما ينقل عن ألسنة الطيور والنباتات والحجارة بصورة رمزية وتعمية، ويكون كناية عن معان دقيقة وكتاب"كليلة ودمنة" لابن المقفع على هذا المنوال، وهو أهم مرجع في ميدان الأدب، وقد استخدم هذا الأسلوب الشاعر العارف العطار النيسابوري في كتابه "منطق الطير" وليس هذا النوع محقق الأمثال القرآنية كما يقول البعض لأنه يضاد صريح القرآن الكريم حيث تتحمل الأمثال أو القصص القرآنية أمراً حقيقياً لا مفترياً، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١] .

التمثيل القصصي:

وهو عبارة عن أحوال الأمم الغابرة بغاية أخذ العبرة عنها إما تشبيهاً مصرحاً أو تشبيها كامناً يقول الباري: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]. فبين الله تعالى أحوال الأمم السالفة باستخدام التشبيه لأخذ العبرة في شكل التمثيل في هذه الآية .

التمثيل الطبيعي:

وهو تصريح عن تشبيه غير الملموس بالملموس، والمتوهم بالمشاهد، بشرط أن يكون المشبه به من الأمور الطبيعية، قال عزوجل: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] وشبه الله تعالى فيها الحياة الدنيا بالمطر باستخدام أداة التشبيه "ك" والحياة هي غير ملموسة، حينما المطر هو شيء ملموس ومن الأمور الكونية .

أهمية التمثيل وانسجامه مع البيئة:

إن التمثيل أروع لون من ألوان البلاغة وأهم وسيلة من وسائل التربية والبيان التي يحرص الداعية على الاستعانة بها، وهو ألطف ذريعة إلى نزهة البال وترويح الخاطر كما قال الإمام علي رضي الله عنه :"إن هذه القلوب تمل فابتغوا لها

طرائف الحكم" ولذلك توجد نماذج كثيرة في طيات الكتب والأدب كشرح نهج البلاغة لابن أبي حديد وغيره، وهو أقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي فتداولته الألسن في وقت ما، وفي مكان ما، كما هو أفضل كلاماً وأسطع ما بقي الزمان والمكان، وهو أنه نقل السيوطي في "المزهر" عن أبي عبيد حيث قال: "الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية (٨) مثل: آخر الضحك نكد" أي أن السرور لا يدوم، أو "آخر الطحن قرقعة" أي التظاهر بالأمور في غير حقيقتها لا يلبث أن يعقب دوياً كاذباً ونحوها (٩) .

وكما قد ذكرنا سارت الأمثال مع مرور الزمان دون تحديد المكان فهي ليست من خصائص العرب فحسب، بل لكل شعب حكم وأمثال يرسلون بها غاياتهم إلى إفهام المخاطبين، وربما تأتي الأمثال الكثيرة معنى متشاركا بين أقوام مختلفة، ويصبح من الأمثال العالمية كما "أجود من حاتم"، أو "أجمد من الحجر" وغيرها .

وقد ألفت كتب كثيرة في الأمثال العربية بأنها شاملة جميع مناحي الحياة وبسيطة المعاني، وجزلة الألفاظ، وسهلة الأسلوب والبيان وعادة محتوية على جمل قصار، وأهمها في هذا المضمار "مجمع الأمثال" لأحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (المتوفى عام ٥١٨هـ) .

الأمثال القرآنية:

الأمثال ذات أثر بليغ وفادة عظمية في شؤون الحياة العادية، وخاصة في مجال التعليم والتربية، فإنها احتلت الغاية القصوى لبلاغة الكلام، كما يرى إبراهيم النظام (ت ٢٢١هـ) ويشير إلى بعض خصائصها قائلا: "تجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، إصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة" (١٠) .

وهذه هي محتوى القرآن ومغزاه الذي أنزل لتسهيل الأمور للحياة العامة وتبليغ الرسائل الخاصة للوحدانية والربوبية وتصريف الشؤون لجميع مناحي الحياة المادية اليومية، والأمثال كما هي واضحة المعنى، بليغة الأثر وعظيمة الفائدة، فدلت غير مرة من الآيات الكريمة على أن القرآن مشتمل على الأمثال، فإنها منتشرة في ربوع آيات الذكر الحكيم ترشد المسلمين إلى الصراط القويم، حاوية المثل الأعلى تنور الطريق للسائرين في ظل العبرة والتفكير فقال سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تدل على وجود الأمثال في القرآن، ولكن المثل في

القرآن عامة من قبيل التمثيل، لا المثل الاصطلاحي الذي يعبر عن كلام ألقي في واقعة لمناسبة مقتضى ذلك الكلام، ثم يتداول على الألسن ويسرى بين الشعوب عبر الزمان كما هي قوام الأمثال، وعلى العكس، فالأمثال القرآنية قائمة بالمزايا البلاغية، ومحتوية على الحكمة والموعظة، ولذلك يسمى بالتمثيل القياسي الذي تعرض إليه علماء البلاغة في علم البيان، وقد أسماه القزويني" في تلخيص المفتاح" المجاز المركب وقال:

"إنه اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه، ثم مثل بما كتب يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد حين تلكأ عن بيعته: أما بعد! فإني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت، والسلام" (١١) .

ويستدل هذا السؤال أيضا على اختلاف الأمثال القرآنية من المثل السائر، وقد امتاز صيغة المثل القرآني بأنها لم تنقل عن حادثة معينة، أو واقعة متخيلة، أعيدت مكرورة تمثيلا، وضرب موردها تنظيراً، وإنما ابتدع المثل القرآني ابتداعاً دون حذو احتذاه، وبلا مورد سبقه فهو تعبير فني جديد ابتكره القرآن حتى عاد صبغة متفردة في الأداء والتركيب والإشارة"(١٢) .

أما موضوعاتها فهي تشمل جميع المناحي للحياة من اقتصادية وسياسية وعلمية وثقافية واجتماعية وصناعية و زراعية وخاصة الحياة اليومية، فهي حياة الناس ومعهم تسيل كسيلان الدم في العروق، فهي تأتي طبقا لمرام الشعوب، حيث تطوي نواحي الحياة كلها، فيقول الباري تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء: ٨٩] .

وليست فحسب بل هي تتحمل مسئولية كبرى حيث تحملت مفهوم الذات للباري الجليل، يقول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ، وقال في موضع آخر: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ [النور: ٣٥]، وهذا التصريح البليغ عن الذات الباريء لم بالمثل حينما قصرت عنها الكلمات الأخرى، ثم أنها شملت المعاني المبينة للضعف وعدم القدرة حيث يقول عزوجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١] ، وكذلك تقدر على تحمل المعاني المضادة، حيث يقول جل وشأنه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ❖ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم:٢٤ـ٢٥]. وبالجملة تشتمل أمثال القرآن على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق الأمر أو إبطاله، وبهذا الإدراك لشأن الأمثال القرآنية

وصفه العلماء وصفاً بالغاً كما قال الماوردي:"من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام....(١٣).

الأمثال القرآنية وائتلافها مع البيئة:

والواقع أن كل خطبة تحتوي الظروف السارية حيث يتأثر الخطيب بالبيئة التي يعيش فيها، وبذلك يمكن تمييز كلام المدني عن القروي، وكلاهما عن كلام البدوي، وما ذلك إلا نتيجة انعكاسات البيئة، ولكن القرآن بما أنه كلام الذات الجليل قد تنزه عن هذه الوصمة، لأن الله سبحانه خالق كل شيء فهو منزه من أن يتأثر بشيء سواه.

ومع ذلك كله نزلت الأمثال القرآنية لهداية الناس وإرشادهم ولكذلك أجملت الآيات لهذه الغايات، فعندما نتعمق في الآيات القرآنية نجد أن الطابع المكي يعلو هامة الأمثال المكية، والطابع المدني يعلو هامة الأمثال المدنية.

أما الأمثال المكية، فكانت بصدد معالجة الأدواء التي ابتلي بها المجتمع المكي آنذاك، وهي الأدواء الشركية والوثنية، فلذلك ركز الوحي على معالجة هذا النوع من الأدواء بالتمثيلات، حينما شبه آلهتهم ببيت العنكبوت أو الذباب تحقيراً وتصغيراً، فيأتي القرآن بأروع مثل في خضم هذا الصراع كما قوله تعالى﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١]، أو كما أن سبحانه شبّه آلهتهم بالذباب في آية أخرى، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]، فقد شبّه آلهتهم التي اتخذها حصونا منيعة بخيوط العنكبوت أو الذباب، وبيّن ضعفهم أي أنهم لا ينتصرون فكيف ينصرون لمدعويهم؟

فما أروع أمثلة في تذليل الآلهة من دون الله للمشركين من تشبيه آلهتهم بهذه الحشرات الضئيلة! وهناك بعض آيات في ركونهم إلى الدنيا والإعراض عن الآخرة، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤].

وأما الأمثال المدنية فإنها بصدد علاج الأمراض الخلقية لما يعاني منها المجتمع المدني، ونرى أن الأمثال المدنية استعرضت مكايد المنافقين وبينت خطورة موقفهم على الإسلام والمسلمين، بما أوذى النبي صلى الله عليه وسلم من

المنافقين، فيضرب الله أمثالهم قائلاً: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ❖ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ❖ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ❖ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٧ ـ ٢٠]، أو كما يشبّه سبحانه تعالى طوائف ثلاثا من اليهود بالحمار بقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]، ويبين فيها أحوالهم الرذيلة أنهم كانوا يقرأون الكتاب ولكنهم لا يستفيدون منها.

وأما المسلمون المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم فكانوا بحاجة إلى إصلاح أخلاقهم، فقد كان البعض منهم ينفقون أموالهم رئاء الناس، أو ينفقونها بالمن والأذى، فبيّن الوحي الإلهي موقف المنفق في سبيل الله والمنفق بالمنّ والأذى أو رئاء الناس، قال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

والأمثال القرآنية تنقسم إلى أقسام، إما من حيث الطول أو القصر، أو إما من حيث الظاهر أو الباطن.

أما الأمثال الظاهرة الطويلة أو القصيرة فقد ذكرناها، أما الأمثال الكامنة فهي﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة:١١٩]، أو قوله تعالى:﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:١١٠]، وكثير من الآيات إلى غير هذا.

هذه نبذة خاطفة لملامح التمثيلات القرآنية التي نزلت توافق المجتمع المكي أو المدني، وأما القرآن فهو هدى للمتقين، ومنهج للناس في جميع أنحاء العالم في كل عصر ومصر دون فضل شعب على شعب آخر، أو تفوق مجتمع على مجتمع ثان، فهذه الأمثال تعتبر أهم الوسائل للتعبير والتفهيم والتربية والتدريب كما ذكره الشافعي:"مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته المبينة لاجتناب نواهيه...."(١٤).

ونظراً لهذه الأهمية للأمثال ألفت كتب كثيرة في هذا المجال مثل"أمثال

القرآن" للجنيد بن محمد القواريري، و"الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة" لحمزة بن الحسن الأصفهاني، و"الأمثال القرآنية" للماوردي، و"الصورة الفنية في المثل القرآني" لمحمد حسين علي الصغير، وكتب عديدة باسم أمثال القرآن وغيرها .

ولم يكتف شأن عليها، بل أصبح كثير من الآيات تجري مجرى المثل، وإن ليست من قبيل المثل السائر، ولكن القرآن كما هو كله حكمة وعظة، وبلاغ وعبرة، فصارت آيات كثيرة منها أمثالا سائرة عبر مرّ الزمان لتداولها على الألسن في حياتهم العملية، وإن لم تنزل هذه الآيات بوصف المثل .

وهذه آيات لكتاب الله تعالى:

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾[البقرة: ٢٤٩] .

﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] .

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ﴾ [البقرة: ٩٩] .

﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الزمر: ٧] .

﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] .

ويستخلص من ذلك أن القرآن هو منهج الحياة و دستورها والأمثال هي خير أداة التفهيم وتنفيذها، فنزل أكثر الوحي الإلهي في صوغ التمثيل وفتح باب الازدهار للتمثيل وأظهر روعته حتى ينهال كأمطار الربيع على قلوب المسلمين في صورة متنوعة، وهذه الآيات القرآنية أثرت على النفوس والعقول، حتى أصبحت مجرى المثل وتداولت على الألسن عبر القرون .

الهوامش:

١) الإتقان في علوم القرآن، السيد جلال الدين السيوطي، ص :٣ .
٢) مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، ج/١، ص:٦ .
٣) لسان العرب، ابن منظور، ج/١٣، ص: ٢٢ مادة مثل .
٤) الأمثال في القرآن الكريم، الأستاذ جعفر السبحاني، ص:٦ .
٥) الحكم والأمثال، طبع دار المعارف، ص: ٨ .
٦) نفس المرجع .
٧) نفس المرجع، ص:١٠.
٨) المظهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، ج/١، ص:٢٨٨.
٩) حدائق الأمثال العالمية، فايقة حسن راغب حرم رفيق فتحي بك، ص:٣.
١٠) المرجع السابق، الميداني، ص:١٤.
١١) المرجع السابق، جعفر السبحاني، ص:١٧.
١٢) نفس المرجع ، ص: ١٨.
١٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج/١، ص: ١٦٧النوع السادس والستون .
١٤) نفس المرجع السيوطي، ص:١٦٧.

الفكرة التصادمية الغربية ومكانة المرأة في الإسلام

إعداد: محمود حافظ عبد الرب مرزا
جامعة جواهر لال نهرو، دلهي (الهند)

يتبادر إلى ذهن الكثيرين في هذه الأيام في المجتمعات غير الإسلامية إبان التفكير في المرأة المسلمة، بأنها غامضة وضحية لقهر الرجال لأنها تعيش حياتها مقهورة تحت غطاء الحجاب، وتنتظر التحرير الغربي لها، وتعرض وسائل الإعلام الصورة النمطية السلبية عن المرأة المسلمة، بدون التحري للتوصل إلى الواقع الذي قد يثبت أحقية وجدارة ممارسة منسوبيها أي هذه المهنة التي هي أساس الكشف عن الحقائق وتثقيف الناس بها .

فالإعلام الغربي، وفي مقدمته الإعلام الأمريكي، يصور المرأة المسلمة أنها جاهلة ومتخلفة، ومضطهدة ومظلومة، ومقهورة، وغير قادرة على ممارسة حقوقها السياسية، وأن الحجاب يقف حائلا دون حصولها عليها، وأن الغرب يريد رفع هذا الظلم عنها .

تتراوح نسبة المسلمين في العالم ما بين ٢٠ ـ ٢٥ ٪ حيث يحتل الدين الإسلامي المرتبة الثانية في الدول الأوربية، **فهل تعلم** بأن غالبية معتنقي الإسلام من النساء، وليس الرجال؟ كما أن النساء **في العالم** الإسلامي يشعرن بالأسف للمرأة الغربية وعرضها على أنها ضحية! والسؤال الذي يستوجب الانتباه، لماذا نرى أن الأغلبية المسلمة التي تعيش في العالم الغربي لا تسعى إلى الخروج عن نطاق الإسلام؟ بل تتمسك بتعاليم الإسلام وتشبث به بالنواجذ، ولماذا تُسارع النساء الغربيات بشكل خاص إلى اعتناق الإسلام؟

تُعتبر قضية المرأة حالياً قضية ساخنة من حيث اهتمام المجتمع الغربي بها، نظراً لاعتبارها بأن المرأة المسلمة تعيش في ظل قضبان الحجاب، الأمر الذي يعمل على عدم سيرها في خطى التقدم والازدهار الذي تنعم بها المرأة الغربية من حيث تثقفها ونموها وحريتها، فنرى أن الحكومات الغربية تسعى إلى إصدار أحكام جديدة تعمل على التدخل في الأحكام الشرعية الخاصة بالمسلمين، نحو قيام الحكومة الفرنسية، بإصدار حكم يقضيْ بمنع ارتداء الحجاب في المدارس ومختلف المؤسسات والمنشئات الحكومية وفي الأسواق أيضاً، حتى تساهم المرأة المسلمة بحد زعمهم في نشاطات البلاد جنباً إلى جنب مع المرأة المعتنقة لمختلف الديانات والملل الأخرى، إلا أن المرأة المسلمة قد لا تشعر بما يشعر إزاءها المجتمع الغربي، فهي لا تريد التخلي عما ترتديه من حجاب أو التقيد بأمور الشريعة الإسلامية، بل ترى أن المرأة الغربية بالذات تعاني من أمراض شتى مشتملة على عدم شعورها بحريتها ومكانتها وشرفها الذي منحها إياها سبحانه وتعالى .

إن جريمة المرأة المسلمة اليوم في عيون الغرب أنها لا تخادن صديقاً، ولا تحمل سفاحاً، ولا تراقص الرجال، ولا تعري نفسها، بل وتعرض عن معظم ما تراها المرأة الغربية من مقومات العصرنة والتقدم، ولأن الغرب يرى نفسه مركزاً للبشرية، وقائداً لقاطرة التقدم في العالم فعلينا إذا أن نتبع خطاه ونتبنى خياراته، وإلا أصبحنا متخلفين بحاجة إلى من يعلمنا كيف نعيش؟ وماذا نرتدي؟ بل وماذا نأكل؟!

وفي هذا السياق، يمكن فهم الصورة المشوهة للمرأة المسلمة في الغرب، فهي جزء من صورة أعم وأشمل هي صورة المجتمعات المسلمة بل وصورة الإسلام نفسه، وهي أحد مسوغات العبء الذي يحمله الغرب في الأخذ بيد شعوب العالم نحو التقدم !

وفي هذه المقالة نلقي الضوء على ما يقدمه الإسلام للمسلمات المتعلمات المثقفات والسبب الذي يجذب الناس رجالاً ونساء للدخول في دين الله أفواجاً، والواقع المرير خلف الدعايات والصور النمطية التي تقوم بعرضها وسائل الإعلام حاليا .

وجهة النظر الإسلامي للمرأة:

لقد تم تصوير المرأة بشكل إيجابي في القرآن الكريم. والحديث النبوي الشريف، حيث إن القرآن هو الكتاب الوحيد من الكتب الدينية العالمية الذي تمت الإشارة فيه إلى النساء جنبا إلى جنب مع الرجال، وتم وصف كلاهما بأنهما أصدقاء وشركاء في الإيمان، فقد سوّى الإسلام بين الرجال والمرأة في جملة الحقائق والواجبات، وإذا كانت هناك فروق معدودة فاحتراماً لأصل الفطرة الإنسانية وما ينبني عليها من تفاوت الوظائف! وإلا فالأساس قوله تعالى : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ .....﴾ [آل عمران:١٩٥]. وقوله تعالى:﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]

فالمرأة والرجل متساويان أمام قوانين الجزاء في الإسلام، يقول تعالى:﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ.....﴾ [النور: ٢]، ولما كان الاستقلال يستلزم الإرادة والاختيار، فقد قرر الإسلام هذا الاستقلال في جميع الحقوق الاقتصادية وأباح للمرأة كل ألوان الممارسات المالية، وجعلها مالكة عائدها وأموالها، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ.....﴾ [النساء: ٣٢]، وعلى عكس ذلك نجد المرأة في نظر المجتمعات الغربية غير مستقلة الشخصية في جميع الحقوق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وقد استمر هذا الوضع في قسم من المجتمعات حتى القرون الأخيرة .

ونرى أن الإسلام يسويها بالرجل في الوظائف الدينية، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ويسوي بينهما في الوظائف الاجتماعية، والسياسية، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٧١] .

كما يسوي بينهما في أصل الخلق والتكليف:﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥] .

وهكذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قام بتلاوة هذه الآيات الكريمة وشرحها بأقواله وأفعاله، وتقديمها للناس بواسطة شخصيته الرائعة ليكون قدوة للناس، مما جعله شخصية محبوبة بين عائلته وأصحابه، فقد نهي عن استخدام العنف ضد المرأة، حيث يقول:"اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن علكيم رزقهن وكسوتهن بالمعروف" (رواه مسلم)، ونهى عن جميع أنواع التعسف في استعمال السلطة، فقد كان محمد صلى الله عليه وسلم منقذا للمرأة، رفع من قدرها، ومنزلها، ووضعها الاجتماعي والشرعي بصفة عامة، ورفع عنها قيود العبودية التي فرضتها تقاليد الصحراء، وحذر النساء والرجال على السواء بأنه سيتم محاسبتهم جميعا من قبل الله تعالى لمن هم في رعايتهم أو تحت سلطتهم، وقال"خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"(رواه الترمذي) وقال: "وما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم" (سنن الترمذي) .

فالإسلام لا ينهى المرأة عن أي عمل، فلا يقول الإسلام: إن من المحرمات على المرأة أن تصبح عاملة، أو مزارعة، أو تاجرة، فمن حق المرأة أن تقوم بما يقوم به الرجل في العمل والزراعة، والتجارة شريطة أمر واحد هو(الحشمة) والحفاظ على كيانها كالإنسانية، فالإسلام ينهى عن التعري، والكشف عن أنوثة المرأة، ولا ينهى عن العمل، وكلنا نعرف أن خديجة بنت خويلد عليها السلام كانت صاحبة أملاك، وكانت تاجرة كبيرة، وتعرفها على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عن طريق تجارتها، حيث عمل النبي صلى الله عليه وسلم لديها، فالمرأة تستطيع أن تعمل إذا استطاعت أن تحافظ في عملها على الحجاب أو لم تختلط بالرجال الأجانب، لأنها في غير هذه الصورة تتحول إلى متعة وجنس للرجال .

مكانة المرأة في الديانات: الأديان والملل الأخرى:

لا يتم التوجيه إلى هذه التعاليم حالياً، إلا أنها كانت ثورية أيام ظهورها، وقد

يتعلم أبناء المسلمين أن الجنة تحت أقدام أمهاتهم، لأن الإسلام رفع من شأن الأم إلى أسمى المراتب وأحبها غاية سامية يسعى إليها كل إنسان، فإن النساء في الصين طبقاً للديانة الكونفوشيوسية (١) يجب عليهن إطاعة آبائهن، ومن ثم أزواجهن ومن ثم أولادهن بعد وفاة أزواجهن.

أما المرأة في الديانة الهندوسية فهي غير مخولة للحصول على استقلالها نظراً لطبيعتها المتمثلة بكونها ضعيفة، ويمكن إضلالها بسهولة، وكانت المرأة التي يموت عنها زوجها لا تتزوج بعده، بل تعيش في شقاء دائم، وتكون موضعاً للإهانات والتجريح، وتكون في مرتبة أقل من مرتبة الخادم، وقد تحرق المرأة نفسها إثر وفاة زوجها تفادياً للعذاب المتوقع الذي ستعيش فيه، وكانت الديانة الهندية تجيد عقد القران للأطفال، وهم يحبون، ويحدث أن يموت الولد فتشب البنت أرملة ابتداء، وفي الديانة البوذية أطلق على النساء أنهن عبارة عن مصدر للشر والآثام.

وكان اليهود والنصارى يعتقدون أن المرأة هي المسئولة عن سقوط الجنس البشري، باعتبار الطمث والولادة عواقب للعنة الإلهية.

وقد أهان المجتمع بأكمله المرأة ولم يمنحها حق التكريم الذي تستحقه، حيث إن المرأة كان يتم منعها من جميع الحقوق والواجبات في العصر القديم، لأن اعتقادهم كان متمثلاً في أنها خُلقت لخدمة الرجل فقط، لذا كانوا لا يسمحون لها طرق الثقافة من التدريس والتعليم والظهور في المعارض العامة، وحتى في القرون الوسطى كانت حالتها كئيبة للغاية حيث إنها لم تكن تملك حق التصرف في أملاكها بدون إذن وليها أو زوجها، إلى أن وصل الأمر إلى البحث عن الحقيقة الكامنة في كونها إنساناً أو غير إنسان، وهل لها روح خالدة أم جسم فقط الخ، وافتقدت المرأة حق قراءة الإنجيل لأنها تعتبر نجسة، وأن سبب إهانتها يعود أصله إلى الفكرة الخاطئة المتمثلة في أنها بذاتها هي مصدر الإثم والخطايا، الأمر الذي أدى إلى تدهور أحوالها وضياع كرامتها في الأمور الدينية وحتى في القضايا الاجتماعية.

وفي رواية أخرى أن حواء عليها السلام هي التي تسببت في إخراج آدم عليه السلام من الجنة، وأن الكثيرين من الفلاسفة القدامى قد عبروا عن آرائهم في هذا الشأن، ومعظمهم كانوا يتفقون في نطقة واحدة تتمثل في أن المرأة هي مصدر الفتن والآثام، ويرون أنها خلقت لخدمة الرجال لا غير، ولكن الإسلام حررها من عقدة الخطيئة الأولى التي ترتب عليها إخراج آدم من الجنة، ومن أكبر الدلائل على ذلك أن المرأة كانت تباع في الأسواق القديمة كالسلع التجارية الأخرى، وذلك كأنها

١- ديانة أهل الصين، وهي ترجع إلى الفيلسوف الحكيم، كونفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى إحياء الطقوس والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم مضيفاً إليها فلسفته وآراءه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم.

سلعة تباع وتشترى، ثم تترك نسياً منسياً، ولم تكن تعد شيئاً مذكوراً ذات روح وكيد بل خُلقت لتكميل شهوات الرجل وتطييب خاطره.

وهكذا فإن هذه الظاهرة كانت تعم جميع أرجاء المعمورة فقد كان العرب يقومون بوأد البنات نظراً لخشيتهم من ضياع كرامتهم بين المجتمع لأنهم كانوا غيارى ولا يرضون بأن تُهتك أعراضها لكثرة الحروب التي كانت حامية الوطيس بين القبائل من حين إلى حين، يقول تعالى: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩].

وكان العرب يفضلون الذكور على الإناث، وإذا ولد في القبيلة ولد هنأوا أفراد القبيلة وذبحوا له الذبائح، وكان الأب في أكثر الأحيان يُكنى بابنه، وعلى العكس كانوا يكرهون وينفرون من الإناث ويقتلونها خوف العار والسيابة في الحروب، أو خشية الإملاق، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

ومع بزوغ شمس الإسلام للوهلة الأولى وإشراقها على أرض الجزيرة المظلمة، أعطى للمرأة الحرية الكاملة كما أعطاها الضمان الأمني والاجتماعي، وسوى بين الرجال والنساء في كل ميادين الحياة التي لها أدنى صلة بالإنسانية والتي كانت مفقودة تماماً قبل مجيء الإسلام على هذه الكواكب، وأوجب القيود والشروط للحفاظ على قدسيتها وكرامتها وحث الناس على تودد المرأة وتعففها، فالإسلام أول من حرر المرأة وأنصفها وكرمها إنساناً، وأنثى، وبنتاً، وزوجة، وأماً وعضواً في المجتمع، فاعتبرها هبة من الله ولم يعتبرها شؤماً، ولا نكبة كما كان يفعل العرب في الجاهلية، ويكفي أن الإسلام حمي البنت من الوأد، الذي حرمه أشد التحريم، واعتبره من كبائر الآثام.

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم قلقاً جداً حيال حقوق المرأة، فقد كان مصلحاً ناجحاً للغاية، وزعيماً سياسياً، وروحياً، دافع عن حقوق الضعفاء والمظلومين، وهكذا فإن الآيات القرآنية المتعلقة بالمرأة كان لها تأثير واسع حول وضع المرأة وحقوقها آنذاك. حيث تم منح المرأة المسلمة حق الملكية والإرث والتصرف في ما تمتلكه وفق ما تراه مناسباً، كما جعل لها حقاً شرعياً في التركة التي تركها موروثها، حق ثابت لها منذ خلقها في بطن أمها، ويظل هذا الحق واجباً لها مهما كانت حالتها: فقيرة أو غنية، عاقلة أو مجنونة، رشيدة، أو سفيهة، بنتاً أو أماً أو أختاً، ولا يجوز لأحد أن يحرمها من هذا إلا بموانعه الشرعية من كفر أو ردة أو قتل لموروثها، يقول الله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء:٧].

فحينما ترث المرأة نصف الرجل لا يعني هذا ظلماً ولا هضماً ولا إجحافاً لها؛ وإنما هو عدالة ورعاية وعناية؛ لأنها مكرمة لا تطالب بدفع المهر بل يُدفع لها، ولا

تطالب بالنفقة وإنما ينفق عليها ولا تطالب بالسكن بل من حقوقها السكن، والنفقة والكسوة ووسيلة النقل، والمتطلبات الكثيرة والحياة بأعبائها ومتطلباتها صعبة وثقيلة، فجعل الله سبحانه وتعالى للذكر مثل حظ الأنثيين، إذ الحكمة الإلهية واضحة لأن الزوج مطالب بالإنفاق حتى ولو كانت زوجته غنية .

كما منحها الإسلام حق رفض الزواج القسري، والاحتفاظ باسمها وهويتها بعد الزواج، وحق الخلع، والحصول على التعليم، وإذا ما ألقينا النظر إلى العالم النامي فإننا نجد أن المرأة كانت تمر بحالات كئيبة، في حين أن المرأة المسلمة قد حصلت على التعليم وقامت بإنجازات كبيرة في وقت مبكر، كما أن زوجته صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها كانت مسئولة عن نقل أقواله وأفعاله للأجيال اللاحقة، وقد عرف عنها أنها كانت تجيد الطب والفقه الإسلامي، فضلاً عن صفاتها الشخصية وعبقريتها، وعندما قادت معركة الجمل عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يعترض عليها أحد لكونها امرأة . (هذا الموضوع يحتاج إلى بحث ودراسة: مساعد التحرير) .

دور المراة وحقوقها والتزاماتها:

طبقاً للآيات القرآنية الآنفة الذكر، تعتبر المرأة ذات مكانة متساوية للرجال، ولديها نفس الواجبات الدينية، وهذا ما يتم ملاحظته عندما ندرك بأن الغاية المطلوبة من خلق الإنسان هو عبادة الله وحده، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] واعتبار أن هذه الدنيا هي عبارة عن أرض الامتحان للاستعداد لمواجهة اختبار الحياة الأبدية بعد الموت، فإن الإنجازات والشهرة والثروة والسلطة لا تعتبر جاذبة للمسلم نفسه، الذي لا يركز أساساً على ما يدور في هذا العالم، فالقرآن يوجه أنظارنا مراراً وتكراراً إلى حقيقة أن الوقت الذي نمضيه في هذا العالم قليل، ولا يمكن التنبؤ به، وما يهمنا حقا هو شخصيتنا، وكيف نتعامل مع الآخرين لأن الدين المعاملة، وكيف نتصرف مع ما وهبنا الله، أي في الله أم لغير الله، وفي هذا السياق، فإن البيت والأسرة تحمل أهمية كبيرة، لأن الأسرة المستقرة ضرورية لتربية الأطفال لأنهم سيحملون هذه الرسالة وينقلونها إلى الجيل القادم، يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

أما الدور الاجتماعي للمرأة، فإن الإسلام يؤيد التقسيم التقليدي للعمل، وبموجبه تتحمل المرأة المسئولية الرئيسية عن المنزل، في حين ينبغي على الرجال تحمل المسؤوليات المالية، ولكن مع فارق هام: لأن الأمومة والأعمال المنزلية، لا تعتبر أقل أهمية من الحياة العملية المهنية الأخرى، وفي الواقع، فإن الأمومة هي واحدة من أهم المهن، حيث إن الأم المتمكنة يمكنها أن تدير أعمالها المنزلية بكل كفاءة ونجاح، وتقوم بتربية أسرة سعيدة .

فالإسلام عندما أوجب على الرجل نفقة البيت، كان في الحقيقة يعطي المرأة عوضاً عن تفرغها لتنشئة أولاده، واتجاهها الكامل إلى أداء رسالتها الطبيعية، والذين يزدرون وظيفة "ربة البيت" جُهال بخطورة هذا المنصب وآثاره البعيدة في حاضر الأمم ومستقبلها الأخلاقي والاجتماعي، وبالطبع فإن أعباء هذا المنصب داخل البيت تكافئ أعمال الرجل الشاقة خارجه، وقد وجهت الشريعة كلا الجنسين إلى ما يليق به، ويتفوق فيه، ولأجل ذلك فإن الزوجات والأمهات المسلمات يحصلن على الاحترام الكبير للتضحية والنضال الذي يبذلنه من أجل بناء الأسرة، وعلاوة على ذلك، فإن المسلمين يعتبرون من غير الإنصاف أن تتحمل المرأة الأعباء الجسدية بالإضافة إلى الأعباء العاطفية وما تتطلبه الأمومة والمهام المهنية معا، الأمر الذي يؤدي إلى تضجر الكثير من النساء بسبب ضغوط العمل الشديدة ومحاولة ترتيب الأمور المنزلية معها، وبالتالي يدمر حياتهم الأسرية، ومن هذا المنطلق يعبر المسلمون دائماً عن تعاطفهم مع النساء في الغرب، والذين غالباً ما يعانون من الاستغلال الجنسي والاعتداءات الجنسية في المنزل وأماكن العمل، كما أنه وطبقاً لمتطلبات العمل تهمل المرأة الغربية احتياجات الطفل من أجل ضمان حياتها المهنية .

ولا ريب أن كيان المرأة النفسي والجسدي قد خلقه الله على هيئة تخالف تكوين الرجل، فقد بُني جسم المرأة على نحو يتلاءم مع وظيفة الأمومة تلاؤماً كاملا، كما أن نفسيتها قد هيئت لتكون ربة الأسرة وسيدة البيت، وبالجملة فإن أعضاء المرأة الظاهرة والخفية، وعضلاتها وعظامها، وكثيراً من وظائفها العضوية، مختلفة إلى حد كبير عن مثيلاتها في الرجل، وليس هذا البناء الهيكلي والعضوي المختلف عبثاً، إذ ليس في جسم الإنسان ولا في الكون كله شيء إلا وله حكمة، وهيكل الرجل قد بُني ليخرج إلى ميدان العمل كادحاً مكافحاً، أما المرأة فلها وظيفة عظمى هي الحمل والولادة، وتربية الأطفال، وتهيئة عش الزوجية ليسكن إليها الرجل بعد الكدح والشقاء، يقول تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١] .

وقد راعت الشريعة الظروف التي تمر بالمرأة فأعفتها من بعض العبادات كالصلاة أثناء الحيض، ونهاها عن الصوم، وقضائه في أيام آخر، فإذا كان سبحانه وتعالى قد أسقط عن النساء واجبات عينية فهل يجب عليها أن تفرض على نفسها أو يفرض عليها المجتمع ما لا تطيق ؟

فالذي يتدبر القرآن الكريم يجد المساواة، وعدم التفضيل بين الذكور والإناث، وأنه إذا أعطى الرجل حقا أكثر فلقاء واجب أثقل، لا لتفضيل طائش، وقوامة الرجل في البيت لا تعني ضياع المساواة الأصيلة، كما أن طاعة الشعب للحكومة لا تعني الطغيان والإذلال فإن التنظيم الاجتماعي له مقتضياته الطبيعية،

والرجل قيم على بيته يقينا، وهذه القوامة تكليف قبل أن تكون تشريفاً، وتضحية قبل أن تكون وجاهة.

أما إذا ألقينا النظر إلى الزواج في الإسلام، فإنه وبالرغم من أن الأبوين المسلمين يقومان بترتيب الأمور المرتبطة بالزواج في اختيار الزوج والزوجة الصالحة لأبنائهم، فيجب أن يوافق الزوجين على الزواج، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد منح للفتيات اللاتي أجبرن على الزواج حقوق فسخ الزواج، حيث إن العلاقة بين الزوج والزوجة تستند إلى الحب والهدوء، فما أجمل أن يتوفر الحب والاحترام والتقدير والمودة بين الزوجين، ولا بد من رشات الود والتفاهم بين الزوجين؛ ليعينهم في تربية الأبناء إضافة إلى استمرار الحياة الزوجية.

أما بخصوص تعدد الزوجات، فإن الكثير من الناس يدركون أن الإسلام يسمح للمسلم بالزواج بأكثر من زوجة واحدة، ولكن ما لا يعرفه العامة، الشروط الصارمة للمساواة في المعاملة، من حيث الوقت والمال الذي فرض بالطبع على الرجال، ففي الواقع أن الزواج من واحدة هو القاعدة الرئيسية، وأن تعدد الزوجات يعتبر أمراً استثنائيا، حيث إن تعدد الزوجات يحمي النساء والأطفال من الضياع، فعلى سبيل المثال، إذا كانت الزوجة الأولى مريضة مرضاً مزمناً أو غير قادرة على تحمل عبء الأطفال، أو عند وجود العديد من الأرامل والأيتام من جراء الحروب، أو إذا كان الزواج قد تعطل بشكل فعّال ولكن الزوجة تفضل أن تبقى متزوجة، فإن تعدد الزوجات سيكون الخيار الأمثل والأفضل للحفاظ على كيان الأسرة وصيانة المرء لفرجه وماله وعرضه.

فقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم في الخامسة والعشرين من عمره بخديجة بنت خويلد عليها السلام التي كانت في الأربعين من عمرها، وظل معها قريباً من ثمان وعشرين سنة، ولم يتزوج مرة أخرى إلا بعد وفاتها، حيث إن معظم زوجاته كن أرامل ومطلقات، أحاطت بهن ظروف صعبة، لم يشتهرن بالجمال ولا كان لهن من السن المبكرة ما يجدد الحياة اللهم إلا بكراً واحدة بنت صديقة لأبي بكر تزوجها توثيقا لعلاقاته، وهذا ما يؤكد ويجزم الأسباب السياسية والإنسانية حسب المتوقع من شخص يحمل أهمية كبرى مثله، فقد امتازت حياته بالحب والعطف والحنان والاحترام.

وهكذا رفع الإسلام قدر المرأة فلم تعد مخلوقة مستصغرة يزدريها المجتمع بل أصبح لها من الحقوق ما لرجل إلا في حق واحد هو حق رئاسة الأسرة، وهذا أمر طبيعي لا غرابة فيه، ومن هنا ندرك أن الإسلام كان ثورة تاريخية في حقوق المرأة، وأن حقوقها مكافئة لحقوق الرجل، وأن المنهج المتوازن الذي سنه الدين يُلائم طبيعة الأشياء، وهو يتلخص في الكرامة الإنسانية والتوزيع الوظيفي للأدوار، والحقوق والأعباء، وأن الفطرة السليمة تفرض الاعتراف بأن ما جاء في الإسلام هو

الملائم لوظائف المرأة الخلقية، وهوالذي يصون كرامتها ويحمي أنوثتها ويجنب المجتمع خطر التفكك الأسري، والتحلل الأخلاقي الذي يُعتبر مصدر كثير من الأمراض النفسية والجسدية، التي لا تزال تكشف مع الزمن.

ومن خلال ما تقدم، يتبين أن الإسلام دين ودعوة لا يتغير بتغير الزمان والمكان، بل مبادؤه وقيمه وأوامره ونواهيه مستمرة إلى يوم البعث، لذلك بقيت المرأة المسلمة إلى وقتنا الحاضر تنعم بحقوقها التي ضمنها لها الإسلام، وتقوم بواجباتها التي حددها لها الشرع، هذا عن المرأة المسلمة التي حافظت على إسلامها الحق، ولم تؤثر فيها مدنية الغرب ما دام: (الإسلام أعطاها من الحقوق والمزايا ما حفظ لها كرامتها وما وحد مسئوليتها مع مسؤوليات الرجل، وأعطاها من التصرفات المرئية ما لم تعطها القوانين الأخرى، وأوجب عليها حق التعليم).

وفي الختام، فإن هدف هذا المقال ليس إبراز الوجه السيء لنظرة مجتمع الغرب تجاه المرأة من خلال إبراز وجه الإسلام الحسن، ولكن الهدف هو رفض الإدعاءات التي تهاجم الإسلام وتعاليمه وتصفه بأوصاف لا تمت له بصلة، لأنه دين عدل ومساواة، لم ينقض المرأة حقوقها، بل صانها ووهبها من المكانة والاحترام ما لم يهبه لها أي من الأديان السماوية الأخرى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع بالعربية:

١- عمل المرأة في الميزان، دكتور محمد علي البار.
٢- المرأة ودورها ومكانتها في الحياة المعاصرة، الدكتوراه/زهرابي بنت علوي ماتومال، قسم النشر، جامعة الكويت.
٣- قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة الوافدة، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، مصر.
٤- مشكلات المرأة المسلمة المعاصرة، دكتوراه مكية مرزا، دار المجتمع، جدة.
٥- مكانك تسعدي، ميسر بنت ياسين، دار ابن خزيمة، الرياض.
٦- عمل المرأة في المنزل وخارجه، إبراهيم الجوير، مكتبة العبيكان، الرياض.
٧- وظيفة المرأة المسلمة في المجتمع الإنساني، علي قاضي، دار القلم، الكويت.
٨- المرأة تعليمها وعملها في الشريعة الإسلامية، علي الأنصاري، جامعة الإمام، الرياض.
٩- عبقرية محمد، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ٨، عام ٢٠٠٦م.

المراجع بالإنجليزية:

1-KHAN MAULANA WAHIDUDDIN ,WOMAN IN ISLAMIC SHARIA ,THE ISLAMIC CENTRE ,NEW DELHI
2- HAUDHRY MOHAMMAD SHARIF , WOMEN'S RIGHTS IN ISLAM ,ADAM PUBLISHERS DISTRIBUTORS ,DELHI ,1997
3- HUSAIN SHUJAAT, WOMEN'S ROLE UNDER LSLAM , ANMOL PUBLICATIONS , N. DELHI .
4- RAM MALIK , AURAT ISLAMI TALEEM , CIVIL AGENCY , LUCKNOW ,1997.
5- SHARIYATI DR. ALI , MUSLAMAN AURAT AUR DAURE HAZIR KE TAQAZ, AHMED BOOK SELLERS STATIONERS ,KARACHI , 1998 .
6- KHAN MAULANA WAHIDUDDIN, KHATOON –E- ISLAM, MATABA AR-RESALA, N.DELHI 1994.
7- UMRI JALALUDDIN, AURAT ISALMI MUASHRE MEIN. MARKAZI MAKTABA JAMAAT ISLAMI HIND 1995.
8- KHAN MAULANA WAHIDUDDIN, WOMEN BETWEEN ISLAM AND WESTERN SOCIETY, GOODWORD BOOKS, DELHI 2000

إشكاليات المصطلحية العربية الحديثة

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

الدكتور محمد ثناء الله الندوي
قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كراه الإسلامية (الهند)

إشكاليات المصطلح العربي الموحد:

في وجه التفاقم الكمي والكيفي المشاهد على ساحة المصطلحية العربية (أفرادا ومؤسسات ومعاهد في كل الأقطار العربية) والتي يجب التفاعل معها باعتبارها بشائر، لا نرى قيمة في رأي من يقول: "إن تأسيس منهج يساعدنا على الفوز بمصطلحات عربية موحدة مشتركة في رؤية علمية وثقافية وحضارية منشودة هو عمل صعب المنال، حقا هنا بلبلة تستبد بالمصطلحات العربية ومفاهيمها ومتمثلة أساسا في الترادف الذي يذهب الشرة وفي المشترك اللفظي الذي لا يعدو عنوانا عن مشترك فكري وعقلي، وفي منتوج التعريب والتدخيل الذي يفتقد مزايا الموافقة في عملية نقلها نقلا صوتيا علميا إلى العربية نتيجة ولاء المعربين باللغات المصادر: الإنجليزية والفرنسية والروسية والألمانية، وتعاطفهم مع النطق الأنكلوسكسوني أو الفرنسي اللاتيني، ولعل العربية كانت أميل إلى مقترح الأمير مصطفى الشهابي الذي اتخذ النطق الفرنسي، وعلى مستوى النقل الصوتي كان حصول المجامع العربية على نظام صوتي عملي على غرار نظام كوبنهاجن الدولي الصوتي يؤمن للعربية دقة علمية عند نقل المصطلحات وأسماء الأماكن والإعلام حسب نطقها عند أهلها من خير ما بشر بالخير في مهمة الصياغة المعجمية والمصطلحية.

الملاحظ من كل الجهود التوحيدية على مستوى الوطن العربي(مجامع اللغة العربية ومعاهد التعريب وغيرها) أن الحجم المتوفر لا يعدو عشرات الآلاف المعدودات من المصطلحات المخزنة والمبرمجة، وما وفره مكتب تنسيق التعريب في مؤتمراته المختلفة لا يعطينا في أحسن الحالات أكثر من مائة ألف مصطلح موحد بطرق تستدعي النظر، وهذا عدد ضئيل مقابل الملايين من المصطلحات الموحدة الفرنسية والإنجليزية والروسية، واليابانية، التي أصبحت في متناول يد الباحث.

المظاهر اللغوية من الترادف والمشترك اللفظي والأخذ والعطاء ليست مقصورة على العربية بل تلحق كل اللغات، وهي تضمن لها البقاء في وجه الزمان، ولا يدين أي لغة أن تأخذ من الأخرى شريطة أن لا يرادف ذلك إقصاؤها

من طبيعتها الشاملة وإبعادها الثقافية والحضارية، وعلى المنهج التوحيدي في مستوى الاختصاص أن يتجنب المفاضلة بأي وسيلة من الوسائل التي من شأنها ألا تساعدنا على تشخيص الداء وتصور الدواء، يفتقد العربي مدونة مصطلحية عربية تحتوي على كل الرصيد العلمي والمصطلحي العربي المعاصر كمّا وكيفا في مختلف العلوم سواء بالوضع أو الترجمة أو التعريب، على أن مثل هذه المدونة توفر للمصطلحي الموحد وثيقة مصلحية كاملة كلبنة أساسية للمقارنة حسب المقاييس اللغوية والاجتماعية والثقافية والزمكانية يستخلص مختلفها ومشتركها ويعرف قيمتها المناغمة أو النابئة في ميزان التوحيد.

يجب أن يضع الخطاب العلمي والحضاري العربي حدا لحديثه الحائر بين التراثيات والحداثيات دون أن يخرج منها بوسيلة ناجعة ومقنعة تسانده في دعوته إلى تعويض الحديث بالرصيد العلمي العربي القديم حيث يعوزه تبصر علمي عميق نابع عن العناية العميقة بالتراث ولا عبرة بمجرد التغني دون المعرفة الحقة، وكثيرا ما يدعو أنصار التراث إلى الاعتماد على مُخصص ابن سيدة للاستفادة من مصطلحاته في ميادين الحيوان أو الزراعة أو النبات، الخ، دون أن يطبقوا لذلك تطبيقا مبررا، فلقد دعا أمين المعلوف في مقدمة "معجم الحيوان" وأحمد عيسي في "مجمع النبات" ومصطفى الشهابي في "معجم الألفاظ الزراعية" إلى ضرورة الاستفادة من ذلك الرصيد دون أن يبرهنوا على ذلك، ويخبرنا الأستاذ رشاد الحمزاوي أنه لم يأخذ أحد منهم أكثر من ثمانية مصطلحات من المخصص (١).

موقف الجامعات العربية من تدريس الموضوع:

إن موقف الجامعات ومعاهد العلم العالية عموماً في الأقطار العربية من المصطلحية وتدريسها موقف يفقد الإكتراث والطموح والتخطيط المستقبلي وحتى المحاسبة الذاتية، عكس موقف الجدية والعمل الصارم الذي اتخذه الغرب في جامعاته ومعاهده من الموضوع، ففي سياق أهمية المصطلحية في ضبط المفاهيم وأثره الواضح في التطوير العلمي والتقني اهتمت بها الجامعات الأوربية والأمريكية والكندية منذ عقود و أدخلتها في المقررات الدراسية الجامعية وأسست أقساما لتدريسها بغية تخريج جيل من المتخصصين المهتمين ببناء مناهج وأنساق للمصطلحية بعد إخضاعها لقواعد التقييس الدقيق، بذلك تمهدت السبل العملية لتخريج جيل من المصطلحين والمترجمين الأكفياء الذين أسهموا بجدارة فائقة في تكوين الخطاب المصطلحي الموحد في أبعاد التوثيق والجرد والتصنيف

١ - د. رشاد الحمزاوي: "رؤية عربية لتوحيد المصطلح العلمي وتقييسه" في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ع ٩٠، ص: ١٨١.

والتقييس[1]، ولكن الوضع مختلف تماماً في الجامعات العربية، رغم توصيات الندوات والمؤتمرات المصطلحية العربية العديدة، والموضوع لا يزال في انتظار المبادرات الجامعية بشكل منتظم لتدريس علم المصطلحية الذي يخلق من خلاله جيلاً من المتخصصين العرب العاملين في مختلف حقول التأسيس المنهجي للمصطلحية العربية والمواصلين لعملية صياغة المصطلحات ونشرها في مختلف مستويات الوعي والاستخدام، وقليلة هي نماذج التدريس الجامعي للمادة في الأقطار العربية التي كثرت أطر تعاملها مع الوافد الأجنبي، وما عملته بعض جامعات المغرب والسعودية يجب أن يسترعى انتباه الآخرين إيجابياً .

الخاتمة:

إن مشكل المصطلح العربي يرصد السلب أكثر من الإيجاب، هو متسائل أكثر مما هو مجيب في كل الأبعاد البنيوية والدلالية والجمالية للمصطلحية، فمما يرصده الوضع الحالي:

- إشكاليات التشتت وعدم توحيد استخدام المصطلح مفضية إلى التشتت في التفكير والإعاقة في استيعاب المفاهيم المستجدة، وعن الإبداع والتقدم ومجاراة العالم في بحوثه واستكشافاته، كما تعم الفوضى والاضطراب أعمالنا العلمية وتفكيرنا، بل قد يوقعنا تعدد المصطلحات وعدم توحيدها في التناقض والخطأ أحيانا.
- إشكاليات الخلط الواقع في إطلاق المصطلحات المتعددة المترادفة لدى القدماء في التراث العربي.
- إشكالية الدراسات الوسطية الميدانية للمصطلحات المتعددة المترادفة على

[1] - يجد الباحث أوجها عملية للتعامل مع أنماط الصياغة الاستراتيجية العالمية للتقييس التوحيدي وتجريبها في المصطلحية العربية من النماذج التالية :

ISO 10241:1992 INTERNATIONAL TERMINOLOGY SYTANDARD – PREPARATION AND LAYOUT: ISO 1087-1990: TERMINOLOGY –VOCABULARY: ISO 1087-1:2000 TERMINOLOGY WORK – VOCABULARY – PART 1: THEORY AND APPLICATION :ISO 12199:2000 ALPHABETICAL ORDERING OF MULTILINGUAL TERMINOLOGICAL AND LEXICOGRAEHICAL DATA REPRESENTED IN THE LATIN ALPHABET: ISO 12200:1999 COMPUTER APPLICATIONS IN TERMINOLOGY – MACHINE READABLE TERMINOLOGY INTERCHANGE FPRMAT (MARTIF) – NEGOTIATED INTERCHANGE: ISO 12620:1999 COMPUTER APPLICATION IN TERMINOLOGY SPANDARDIZATION; ISO 15188:2001 PROJECT MANAGEMENT APPLICATION IN TERMINOLOGY STANDIZATION: ISO 1951:1997 LEXICOGRAPHICAL SYMBOLS AND GUIDELINES FOR TERMONOLOGY STANDIZATION: ISO 1951:1997 LEXICOGRAPHICAL SYMBOLS AND TYPOGRAPHICAL CONVENTION FOR USE IN TERMINOLOGY : TEMMERMAN, RITA 2999. TOWARDS NEW WAYS OF TERMINOLOGY DESCRIPTION: THE SOCIOCOGNITIVE APPROACH. JOHN BENJAMINS: TERMINOLOGY WORK AND KNOWLEDGE TRANSFER. BEST PRACTICE IN TERMINOLOGY MANAGEMENT AND TERMINOGRAPHY. 4TH INFOTERM SYMPOSIUM. ERGON VERLAG: WRIGHT, SUE ELLEN; BUDIN GERHARD (EDS) (1997/2001): HANBOOK OF TERMINOLOGY MANAGEMENT VOLUME 1(1997) BASIC ASPECTS OF TERMINOLOGY MANAGEMENT ; VOLUME 2(2001) :APPLICATION ORIENTED TERMINOLOGY MANAGEMENT AMSTERDANM/ PHILADELPHIA: JOHN BENJAMINS.

مستوى الاستخدام في الوطن العربي وتطبيق مبادئ التقييس على مستويين : مستوى الاستخدام العلمي الخاص بين المتخصصين والعلماء، وفي البحوث والمؤلفات والترجمات، ومستوى الاستخدام الشعبي العامي العام في الوطن العربي.

- إشكالية الدراسات التأصيلية على مستويات الصوتيات، والصرفيات والدلاليات على المصطلحات العربية تتضح من الفروق اللغوية بينهما، وتطبيق معايير التقييس العلمية والمنطقية واللغوية الدقيقة عليها؛ لمعرفة الأفضل موضوعياً، والتوصية باستخدامه بكل حزم وصدق ومتابعة بعد توثيقه، مع جواز إبقاء مصطلح مراداف واحد مقبول لأسباب سبق ذكرها، وتنحية الباقي.
- إشكاليات نشر المصطلح على مستويات الأقطار والأقاليم والدول، وفق سياسة موحدة في الوضع والتقييس والاختيار متفق عليها.
- إشكاليات الترجمة والتعريب والاقتراض سياق الوضع الحالي للغة العربية التي لا تعطي، وإنما تأخذ وفق مناهج مؤحدة.
- إشكاليات المتاءمة بين الترجمة والتعريب ومراعاة المعربات القديمة وتحرى الأصل العربي للمصطلحات قبل تعريبها.
- إشكاليات توحيد المنهج والاتفاق على الأسس النظرية والقواعد التطبيقية لوضع المصطلحات.
- إشكاليات تشكيل اللجان الفنية المتخصصة الوطنية والقومية للتعامل مع الخطاب المصطلحي تعاملاً منهجياً شاملاً.
- إشكاليات نشر الأعمال المصلطحية وجعلها في متناول الواعي بالموضوع.
- رصد الخطاب المعجماتي التراثي العربي رصداً منهجيا.
- تشية الحصاد المصطلحي العربي بما يجب من إلحاق الملفات الصورية الإلكترونية.
- المبادرة نحو جعل المصطلح العربي في متناول الجميع على الشبكات المعينة.
- إشكاليات الدرس المصطلحي في الجامعات العربية.

إذا كان وضع المشكلة هو مشكلة الوضع فليكن هم العربي والمستعرب تشكيل مقولات إرادة وتوجيه تتوجه صوب الحلول لها، يجب أن لا نخذل العربية، يجب أن لا يسجلنا التاريخ في صحفاتها عن أخدود يقبع فيها القابعون.

★★

الإحسان ودوره في توطيد العلاقات الاجتماعية

(الحلقة الأخيرة)

إعداد: الأستاذ محمد مصطفى كامل
قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاغونج، بنجلاديش

مجالات الإحسان:

الميادين التي يقتضيها الإحسان بمعناه العام قد بينها القرآن الكريم والسنة المطهرة بالتفصيل قد يصعب علينا حصرها أو تحديدها، ذلك أن الإحسان مطلوب في جميع الأحوال والأوقات، ومن أهمها التي تتجلى فيها علاقة الإحسان:

١- مواجهة الملمات بالصبر عليها، قال تعالى:﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود:١١٥].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "جاءتني امرأة معها ابنتان لها تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت فدخل النبي صلى الله عليه و سلم فحدثته فقال: من يلي من هذه البنات شيئا فأحسن إليهن كن له سترا من النار"([1]).

٢- أداء الدية لوليّ القتيل، وذلك قوله تعالى:﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة::١٧٨].

٣- معاملة المطلقات أو من ينوي طلاقهن، قوله تعالى:﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة::٢٣٦] و:﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة::٢٢٩].

٤- الحرب والجهاد، وذلك قوله تعالى:﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة::١٩٥].

هنا يذكر القرآن الكريم معنى آخر للإحسان، فالأمم لا تخدم رسالتها بالبخل وكراهية الإنفاق في سبيل الله، والعرب والمسلمون مكلفون بمعرفة هذه الحقيقة، ولن يسلم لهم دينهم ولا تبقى لهم بلادهم (حرة أبية) إلا إذا توسّعوا في الإنفاق في سبيل الله، وأحسنوا إعداد كل شيء لكسب المعركة ([2]).

---

1 – محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٢ ج، رقم الحديث: ٥٦٤ (بيروت، دار الفكر د . ت) ج/١، ص: ٢٢٣٤.

2 - صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، الطبعة الرابعة: ج/١٢، (جدة دار الوسيلة للنشر والتوزيع) ج/١١، ص: ٢٢٠.

ويشهد لذلك ما جاء في آيات أخرى عن حقيقة الإحسان، ودائرته الرحيبة، فهي تتطلب الصمود والبسالة إلى الرمق الأخير، يقول المولى عزوجل:﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ❖ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران::١٤٧ـ ١٤٨].

٥- مجاهدة النفس بكظم الغيظ ومحاربة الشح وكبح شهوة الانتقام، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة:﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

وتتضمن هذه الآية الكريمة الإحسان إلى المسيىء بالعفو عنه، وكظم الغيظ مرتبة عالية ولكن المرتبة الأعلى هي العفو عند المقدرة، وتلك درجة من الإحسان.

٦- الحوار الفكري والتواصل الثقافي، وقد جاء ذلك في قوله تعالى:﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء:٥٣].

٧- حسن المفاوضة والتفاهم بين المسلمين وغيرهم، قال تعالى:﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦].

٨- آداب الخلاف والمخاصمة، يقول الله تعالى:﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت:٣٤].

٩- العلاقات السياسية والحربية، قال الله تعالى:﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ❖ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ❖ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾ [الكهف:٨٦ـ ٨٨].

١٠- العلاقات الاقتصادية، يقول المولى عزوجل في قصة قارون:﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧].

١١- حسن معاملة اليتامى والضعفاء، يقول سبحانه:﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام:١٥٢].

١٢- العلاقات الاجتماعية، وخاصة ما يتعلق بتبادل التحية ورد السلام، يقول تعالى:﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء:٨٦] ([1]).

وهكذا نرى الإحسان يشمل الفرد والمجتمع والدولة والحياة بأسرها وأنه لن تقوم تربية راشدة إلا إذا غرسنا معنى الإحسان في النفوس على أنه من محاب الله تعالى، وقد تضمن الإحسان كما رأينا النوايا والمقاصد والعبادات كما تناول الأقوال والأفعال ليس هذا فحسب، وإنما شمل أيضا الإحسان إلى المخلوقات كافة

---

1 - المصدر السابق ص: ٢٢٣

من حيوان وجماد ونبات (1) .

القيمة التربوية للإحسان:

الإحسان من عناصر التربية الواعية تشهده من قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة:١٩٥] . والإحسان في صورته العليا صفه رب العالمين، لأن الإساءة تنتج عن الجهل والعجز والقصور وغيرها، إنه سبحانه تحدث عن صنعه للكون الكبير، فقال: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨] .

وطلب إلى الناس أن يفتشوا عن مأخذ في هذه الصناعة يشينها، وهيهات ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:٣-٤] سبحانه من خالق ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧] .

والله سبحانه عند ما نشر أبناء آدم فوق الثرى، وناط بهم رسالة الحياة، كلفهم - أن يكونوا ربانيين - وأن يحسنوا العمل، وأن يبلغوا به درجة الكمال، وإذا غلبتهم طباعهم الضعيفة فلم يصلوا إلى هذا الشأن كرروا المحاولات ولم يستريحوا إلى نقص أو قصور، وعليهم أن يجاهدوا حتى يبلغوا بأعمالهم درجة الكمال، فحث الرسول صلى الله عليه وسلم على حسن تربية المملوك مبشراً على مضاعفة الأجر والثواب: عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه وحق سيده فله أجران، ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران"(2) .

شمولية الإحسان واتساع دائرته:

من تأمل الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة في الإحسان يتضح بجلاء أن الإحسان يشكل مع العدل جوهر العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وأن دائرة هذا الإحسان تتسع لتشمل النفس والأسرة والأقارب ثم المجتمع والإنسانية عامة، فالإحسان إلى النفس وهي دائرة بين الداوائر الآتية:

1 – المصدر السابق ص: ٢٢٣. عز الدين بليق، موازين القرآن الكريم، الطبعة الأولى: (بيروت دار الفتح ١٩٨٢م) ص: ٤٥– ٤٦.

2 - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود رقم الحديث: ٢٨، ٤ ج (بيروت دار الكتاب العربي د.ت) ج/٣، ص: ٥٨

الدائرة الأولى من مجموعة الدوائر التي يدور الإحسان في فلكها تتضمن إخلاص العبادة وكمال الطاعة، قال تعالى:﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧] .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:"إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها وكان بعد ذلك القصاص، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها"(1) .

عن عثمان رضي الله عنه قال :"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من امريء مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله"(2) .

الدائرة الثانية تشمل الوالدين، قال تعالى:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:٢٣] .

والدائرة الثالثة إنها تشمل قرابة النسب وقرابة الجوار، وقد ورد الحث عليها في قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ [البقرة:٨٣] .

أما في الحديث الشريف فقد ورد الحث على الإحسان إلى الجار في قوله صلى الله عليه وسلم:"وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً" (الحديث (3) .

والدائرة الرابعة هي أوسع من سابقاتها، فإنها تضم المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، والإحسان هنا ينصب أساساً على الجانب الضعيف في المجتمع كاليتامى والمساكين وأبناء السبيل ومن على شاكلتهم، يقول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦] (4) .

الدائرة الخامسة: هي الأوسع والأرحب في العلاقات الإنسانية فتشمل الإحسان إلى المخالفين في العقيدة بالصفح عنهم، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا

1 - عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، التميمي، أبو محمد، سنن الدارمي، رقم الحديث: ٢٢٩٩(د.م. ن زت) ج/٧، ص: ٦٤

2 – المصدر السابق رقم الحديث: ٥٦٥، ج/١، ص: ١٤٢

3 - الإمام ابن ماجة سنن ابن ماجة، با ب الورع والتقوى، رقم الحديث: ٤٣٥٧، ج/١٢، ص: ٤١٦

4 - المصدر نفسه، ص: ١٤٢

حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

الدائرة السادسة: ويمكننا أن نضيف إلى ذلك دائرة أكثر شمولاً من العلاقة السابقة، ألا وهي دائرة الحياة بكل ما فيها من نبات أو حيوان أو جماد وإلى ذلك يشير قول الله تعالى:﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:»إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا«.حتى في معاملة الحيوان الأعجم، وقد مرّ المصطفى صلى الله عليه وسلم على رجل واضع رجله على صفحة شاة، وهو يحدّ شفرته، وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال:"أفلا قبل هذا... أتريد أن تميتها موتتين؟ هلا أحددت شفرتك". (١) جاء فيه وقال أيضا:» وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ«(٢).

وأيضا جاء في الحديث الشريف:" إن الله كتب الإحسان على كل شيء" (٣).

الإحسان من أهم وسائل نهضة المسلمين:

إن الإحسان يقتضي من المسلم إتقان العمل المنوط به إتقان من يعلم علم اليقين أن الله عز وجل ناظر إليه مطلع على عمله، وبهذا الإتقان تنهض الأمم وترقى المجتمعات (٤).

قد طلب الإسلام من المسلمين أن يتقنوا عملهم الذي أسند إليهم ويجيدوا كل ما يجدوا أمامهم من الصناعة والحرفة والفن أكثر من غيرهم من الإنسان، وذلك بتخريج العلماء الإخصائيين في كل فن من الفنون وكل مجال من مجالات الحياة والصناعات الجديدة والمخترعات الحديثة من تكنولوجيا والعلوم الحديثة، وبهذا الإتقان والإجادة تنهض الأمم وترقى المجتمعات (٥).

وهذا انطلاقا من الحديث الشريف المذكور الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :"إن الله كتب علينا الإحسان على كل شيء"أي الأتقان فيها (٦).

---

1 – محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الطبعة الأولى (بيروت، دار الكتب العلمية د.ت) ص:٢٠٧.

2 - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، رقم الحديث: ٢٨١٧، المصدر السابق، ج/٣، ص:٥٨

3 - الإمام مسلم، صحيح مسلم، باب الأمر بإحسان الذبح، رقم الحديث:٥٧(١٩٥٥) ج/٢، ص:١٥٤٨

4 - أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم (مصر: دار السلام) ص:١٢٤.

5 – المصدر السابق ص: ١٣٥

6 – الإمام مسلم، صحيح مسلم، باب الأمر بإحسان الذبح، رقم الحديث:٥٧(١٩٥٥) ج/٢، ص:١٥٤٨.

منزلة الإحسان والمحسنين:

الإحسان من منازل إياك نعبد وإياك نستعين، وهذه المنزلة هي لبّ الإيمان وروحه وكماله، وهي جامعة لما عداها من المنازل، فجميعها منطوية فيها، ومما يشهد لهذه المنزلة قوله تعالى:﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. إذ الإحسان جامع لجميع أبواب الحقائق، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، والإحسان الأول في الآية الكريمة هو كما قال ابن عباس والمفسرون: هو قول لا إله إلا الله، والإحسان الثاني هو الجنة، والمعنى : هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إلا الجنة، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ الآية الكريمة ثم قال: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ». قالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ"قَالَ: هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة" وفي هذا الحديث إشارة إلى كمال الحضور مع الله عزوجل، ومراقبته، ومحبته، ومعرفته، والإنابة إليه، والإخلاص له ولجميع مقامات الإيمان (١).

غاية الإحسان:

لكل عبادة غاية وثمرة، والإحسان أعلى وأفضل العبادات، ولذلك له أعلى وأغلى الثمرات في الدنيا والآخرة بل سعادة الدنيا والآخرة هي ثمرة الإحسان وسنذكر بعضاً من ثماره :

١- الخلود في جنات النعيم قال تعالى:﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام:٨٥]

٢- حب الله لهم، وتفضله عليهم بثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة قال تعالى:﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨]

العلاقة بين الإحسان والعدل:

وفيما يتعلق بالعدل فإن الإحسان فوقه لأنه إذا كان العدل يعني أن يأخذ الإنسان ما له ويعطي ما عليه، فإن الإحسان يعني أن يأخذ الإنسان أقل مما له وأن يعطي أكثر مما عليه، فالإحسان بذلك زائد على العدل، وإذا كان تحري العدل من الواجبات فإن تحري الإحسان ندب وتطوع، وكلاهما مأمور به في قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠].

ففي هذه الآية الكريمة إشارة إلى الفضل مع العدل، فالعدالة لابد منها لضبط

---

1 – أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثانية (بيروت :دمشق ١٩٩٩م) ص:٣٧.

الأمور وإنصاف بعضهم من بعض، وعند ما سأل عمر بن عبد العزيز محمد بن كعب القرظي رحمهما الله تعالى قائلا: صف لي العدل، قال: بخ، سألت عن أمر جسيم، كن لصغير الناس أباً ولكبيرهم ابناً، وللمثل أخاً، وللنساء كذلك! وعاقب الناس على قدر ذنوبهم، ولا تضربن في غضبك سوطاً واحداً فتكون من العادلين، ذاك وصف العدل، أما الفضل فله سيرة أخرى لعل أقربها ما جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة؟ أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وذاك هو الإحسان" (1).

فالإحسان زائد على العدل، فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء:١٢٥]. وقوله عزوجل: ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:١٧٨] (2).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وعليه يصلح أمر الدنيا والآخرة، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله، خاتم النبيين وصفوة الخلق أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد: فهذا البحث الذي سميته بـ"الإحسان و دوره في توطيد العلاقات الاجتماعية" قد بذلت جهداً جباراً في إعداده وجمع المعلومات المرتبة به، وكنت حريصاً جداً أن أستقصي الموضوع حتى طلع البحث ناضحاً، وذكرت خلاصة ما توصلت إليه من النتائج فيما يلي:

١- للإحسان ثمرة عظيمة تتجلى في تماسك بنيان المجتمع وحمايته من الخراب والتهلكة ووقايته من الآفات الاجتماعية الناجمة عن الخلل الاقتصادي.

٢- الإحسان هو المقياس الذي يقاس به نجاح الإنسان في علاقته بالحياة - وهي علاقة ابتلاء.

٣- المحسن يكون في معية الله عزوجل، ومن كان الله معه فإنه لا يخاف بأساً ولا رهقاً.

٤- المحسن يكتسب بإحسانه محبة الله عزوجل.

٥- إذا أحب الله العبد جعله محبوباً من الناس، وعلى ذلك فالمحسنون أحباء للناس يلتفون حولهم ويدافعون عنهم إذا أحدق بهم الخطر.

٦- للمحسنين أجر عظيم في الآخرة حيث يكونون في مأمن من الخوف

1- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام بن عطية المحاربي، المحرر الوجيز، المحقق، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الطبعة الثانية، (دار الكتاب الإسلامي) ص: ٣٤٥.

2 - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ج/٢، ص: ٢٣٦.

والحزن.

٧- من ثمرات الإحسان التمكين في الأرض.

٨- المحسن قريب من رحمة الله عزوجل.

٩- للمحسن البشرى بخيري الدنيا والآخرة.

١٠- الإحسان هو وسيلة المجتمع للرقي والتقدم، وإذا كان صنوه أي العدل وسيلة لحفظ النوع البشري فإن الإحسان هو وسيلة تقدمه ورقيه لأنه يؤدي إلى توثيق الروابط وتوفير التعاون (1).

١١- وجوب الإحسان إلى الوالدين ولذوي القربى واليتامى والمساكين.

١٢- وجوب معاملة الناس بحسن الأدب (2).

١٣- الإحسان وسيلة لحصول البركة في العمر والمال والأهل.

١٤- الإحسان وسيلة قوية لاستشعار الخشية والخوف من الله تعالى كما أنه وسيلة لرجاء رحمته.

١٥- الإحسان وسيلة لإزالة ما في النفوس من الكدر وسوء الفهم وسوء الظن ونحو ذلك.

١٦- الإحسان وسيلة مساعدة الإنسان على ترك العجب بالنفس لما فيه إخلاص النية.

١٧- الإحسان طريق ييسر لصاحبه طريق العلم ويفجر فيه ينابيع الحكمة.

١٨- الدفع بالحسنة - وهي إحدى صور الإحسان - يقضي على العداوات بين الناس ويبدلها صداقة حميمة ومودة رحيمة وتنطفىء بذلك نار الفتن وتنتهي أسباب الصراعات، أما الدفع بالسيئة، أي مقابلة السيئة بمثلها فإنه يؤدي إلى تدهور العلاقات وإشعال نيران الفتن وتفاقم أسباب الصراع، ويهبط بالنوع البشري إلى حضيض التخلف ويعرض بقاءه لخطر الفناء.

١٩- إذا اقترن الإسلام لوجه لله بالإحسان، فإن ذلك يثمر الاستمساك بالعروة الوثقى التي يرجى معها خير الدنيا والآخرة.

٢٠- لبعض أنواع الإحسان ثمار خاصة تعود على المحسن بالخير العميم في الدنيا والآخرة، الإحسان خير عميم يغمر الناس إذا تحلى الإنسان بصفة الإحسان أنهم تشرفوا بأن يحققوا المدنية الفاضلة التي طبقها الإسلام في أول عهده.

1 - صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، الطبعة الرابعة: ٢ ج (جدة دار الوسيلة للنشر والتوزيع د.ت.) ج/٢، ص: ٦٨.

2 - أبو بكر الجزائري أيسر التفاسير، الطبعة الأولى، ٢ ج (دمشق مكتبة العلوم والحكم د. ت.) ج/١، ص: ١٢٥.

الروايات الإسرائيلية

وموقف العلماء المسلمين والمستشرقين منها

(الحلقة الأولى)

إعداد: الأستاذ أبو الرضاء محمد نظام الدين الندوي (1)
محمد رشيد زاهد (2)

ملخص البحث:

هذا البحث يحتوي على تمهيد ومبحثين وخاتمة، أما التمهيد فهو يحتوي على مفهوم الإسرائيليات وكيفية تسربها إلى التفسير و دواعي تسربها، والمبحث الأول: يشتمل على موقف العلماء المسلمين والمفسرين تجاه هذه الروايات الإسرائيلية، ومدى خطورتها على عقائد المسلمين، والمبحث الثاني يشتمل على موقف المستشرقين وشبهاتهم إزاء هذه الروايات الإسرائيلية مع مناقشة آرائهم مناقشة علمية هادئة، وتفنيدها بأدلة معقولة، والخاتمة تشتمل على النتائج والثمرات التي وصلنا إليها من خلال هذا البحث والدارسة.

تمهيد:

أولا : مفهوم الإسرائيليات:

لفظ الإسرائيليات ـ كما هو ظاهر ـ جمع، مفرده إسرائيلية، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو يعقوب ـ عليه السلام ـ وبنو إسرائيل هم: أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد إلى عهد موسى عليه السلام، ومن جاء بعده من الأنبياء حتى عهد عيسى عليه السلام، وحتى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد عرفوا باليهود أو بيهود من قديم الزمان، أما من آمنوا بعيسى فقد أصبحوا يطلق عليهم اسم النصارى، وأما من آمن بخاتم الأنبياء: فقد أصبح في عداد المسلمين ويعرفون بمسلمي أهل الكتاب (3).

وقد ورد ذكرهم في القرآن منسوبين إليه في مواضع كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨] وقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي

---

1 - أستاذ مشارك بقسم الدعوة والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونج، بنجلاديش.

2 - أستاذ مساعد قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونج، بنجلاديش.

3 – د. محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (القاهرة: مكتبة السنة، ط: ٤، ١٤٠٨هـ) ص: ١٢.

الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤].

ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على القصص الذي يروى أصلاً عن مصادر يهودية لكن يستعمله علماء التفسير والحديث، ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى مصدر يهودي، أو نصراني، أو غيرهما، بل توسع بعض المفسرين والمحدثين فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصلاً لها في مصدر قديم، وإنما هي أخبار من صنع أعداء الإسلام، صنعوها بخبث نية وسوء طوية ثم دسوها على التفسير والحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين كقصة الغرانيق، وقصة زينب بن جحش و زواج الرسول منها (1).

وإنما أطلق علماء التفسير والحديث لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للون اليهودي على غيره، لأن غالب ما يروى من هذه الخرافات والأباطيل وهم أشد الناس عداوة وبغضا.

للإسلام والمسلمين كما قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

واليهود كانوا أكثر أهل الكتاب صلة بالمسلمين وثقافتهم كانت أوسع ثقافات غيرهم وحيلهم التي يصلون بها إلى تشويه جمال الإسلام ماكرة خادعة، وعبد الله بن سبا رأس الفتنة والضلال، ومن ورائه سبئيون كثر تظاهرهم بالإسلام وتلفعوا بالتشريع لآل البيت إمعاناً في المكر والخداع ليعيشوا بين المسلمين فساداً وفي عقائدهم ومقدساتهم إفساداً كان لهم نصيب كبير من هذا الهيثم المركوم من الإسرائيليات الدخيلة على تفسير كتاب الله، ومن أجل هذا كله غلب اللون اليهودي على غيره من ألوان الدخيل على التفسير والحديث، فأطلق عليه كله لفظ الإسرائيليات.

ثانيا: كيف تسربت الإسرائيليات إلى التفسير وما دواعي تسربها؟

الواقع أن تسرب الإسرائيليات إلى التفسير والحديث مسبوق بتسرب الثقافة الإسرائيلية إلى الثقافة العربية في الجاهلية.

فالعرب في جاهليتهم كان يقيم بينهم جماعة من أهل الكتاب جلهم من اليهود الذين نزحوا إلى جزيرة العرب من قديم، والذين هاجروا إليها هجرتهم الكبرى سنة سبعين من ميلاد المسيح عليه السلام، فراراً من العذاب والنكال

---

1 – د. محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث (القاهرة: مكتبة وهبة، ط: ٥، ١٤٢٥هـ) ص: ١٤.

الذي لحقهم على يد تيطس الروماني [1].

وقد حمل اليهود معهم إلى جزيرة العرب ما حملوا من ثقافات مستمدة من كتبهم الدينية وما يتصل بها من شرح، وما توارثوه جيلاً بعد جيل عن أنبيائهم وأحبارهم.

ثم جاء الإسلام وجاء كتابه الخالد بعلومه وتعاليمه، وكانت دعوة الإسلام أول ما ظهرت وانتشرت بين سكان الجزيرة العربية، وكانت عاصمة الإسلام دار الهجرة "المدينة" وفي مسجد المدينة كانت تعقد مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعليم أصحابه وفي المدينة وما حولها، وعلى بعد منها، كانت تقيم طوائف يهودية كبني قينقاع وبنو قريظة وبني النضير وغيرهم.

وكانت بحكم هذا الجوار بين اليهود والمسلمين تتم لقاءات بينهم لا تخلو عادة - من تبادل العلوم والمعارف، كان النبي صلى الله عليه وسلم يلقى اليهود وغيرهم من أهل الكتاب ليعرض عليهم دينه، وكان اليهود يلقون رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكموه فيما شجر بينهم أو ليسألوه عن بعض ما يعن لهم السؤال عنه، إما تحدياً وتعجيزاً وإما امتحاناً واختباراً لصدق نبوته، وقد حكى القرآن كثيراً من ذلك، كذلك كانت تتم لقاءات بين بعض المسلمين وبعض اليهود تدور فيها مناقشات ومجادلات، وتقع فيها سؤالات واستفسارات ثم كان هناك ما هو أهم من هذا كله، وهو دخول جماعات من علماء اليهود وأحبارهم في الإسلام كعبد الله بن سلام، وعبد الله بن صوريا[2]، وكعب الأحبار وغيرهم ممن كانت لهم ثقافات يهودية واسعة، وكانت لهم بين المسلمين مكانة مرموقة ومركز ملحوظ، وبهذا كله التحمت الثقافة الإسرائيلية بالثقافة الإسلامية بصورة أوسع وعلى نطاق أرحب.

وعلوم الجدل والكلام تأثرت بالإسرائيليات أيضاً نتصفح ما بين أيدينا من كتب الجدل والمذاهب الكلامية فنجد بعض ما فيها من معتقدات لبعض الفرق قد تسرب لها عن طريق اليهود، فابن الأثير يحدثنا في تاريخه عن أحمد بن أبي داود: أنه كان داعية إلى القول بخلق القرآن وغيره من مذاهب المعتزلة، وأنه أخذ ذلك عن بشر المريسي، وأخذه بشر عن الجهم بن صفوان وأخذ الجهم عن الجعد بن درهم، وأخذه الجعد عن أبان بن سمعان، وأخذه أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم وختنه، وأخذه طالوت عن لبيد الأعصم الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم،

[1] - انظر: تاريخ اليهود في بلاد العرب لإسرائيل والفنون ص: ٩، وتاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، ج/٦، ص: ٢٤.

[2] - ويقال له أيضاً ابن صوري، ويرى بعض المؤرخين أنه أسلم، ثم ارتد إلى يهوديته، انظر: سيرة ابن هشام ج/٢، ط: حجازي، ص: ١٠٤.

وكان لبيد يقول بخلق القرآن [1].

التفسير والحديث كلاهما تأثر إلى حد كبير بثقافات أهل الكتاب على ما فيها من أباطيل وأكاذيب، وكان للإسرائيليات فيها أثر سيء حيث تقبلها العامة بشغف ظاهر، وتناقلها بعض الخاصة في تساهل يصل أحياناً إلى حد التسليم بها على ما فيها من سخف بين وكذب صريح، الأمر الذي كاد يفسد على كثير من المسلمين عقائدهم ويجعل الإسلام في نظر أعدائه دين خرافات وترهات، وخاصة في نظر المستشرقين الحاقدين للإسلام وأهله، إن ما دسّ على التفسير من كذب وأباطيل هو بعينه بعض ما دسّ على الحديث فقد وضعت - لأهواء وأغراض سيئة - أحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبت إليه كان الكثير منها مادة للتفسير يرجع إليها، ويستمد منها بعض من ابتلى بهم الإسلام من المضللين أو المخدوعين.

ولقد تسربت الإسرائيليات إلى التفسير والحديث على تدرج ملحوظ في مرحلة الرواية والتدوين.

أما في مرحلة الرواية: فقد تسربت الإسرائيليات إلى التفسير والحديث في وقت واحد ضرورة، أنهما كان في أول الأمر مزيجاً لا يستقل أحدهما عن الآخر، وقد بدأ ذلك في عهد الصحابة، فقد كانوا يقرأون القرآن الكريم ويمرون على ما فيه من قصص وأخبار يرونها تقتصر في ذكر حوادثها على موضع العظة والعبرة، وتطوي من جزئياتها وتجمل من تفاصيلها ما يعملون - بحكم جوارهم لأهل الكتاب ودخول نفر منهم في الإسلام - التوراة والإنجيل وما يتصل بهما من شروح وسنن تشتمل على كثير مما يشتمل عليه القرآن من وقائع وأحداث وبخاصة ما كان له تعلق بقصص الأنبياء عليهم السلام، ولكن بإسهاب وتفصيل يكشف عن كثير مما طواه القرآن منها.

وكانت نفوس بعض الصحابة تميل إلى معرفة هذه التفاصيل، فيلقون بعض من أسلم من أهل الكتاب فيسألونهم عما تشوقت نفوسهم إليه فيجبوهم بما يعرفونه من ذلك، غير أن رجوع بعض الصحابة إلى أهل الكتاب في معرفة تفاصيل ما أجمله القرآن الكريم، ولم يثبت فيه شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على نطاق ضيق، وكان تقبلهم لما يروى لهم من ذلك مقيد بقيود.

ثم جاء عصر التابعين، وفيه اتسع النقل عن أهل الكتاب ونمت رواية الإسرائيليات في التفسير نمواً مزعجاً، وكان مرجع ذلك إلى كثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وشدة ميل نفوس القوم لسماع ما في كتبهم من

[1] - الكامل لابن الأثير ج/٧، الأميرية ص: ٢٦.

أعاجيب، حتى وجد في هذا العهد جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدوا ما يرونه من ثغرات قائمة في التفسير بما وصل إليهم من الإسرائيليات فجاء ما روي عنهم في التفسير مليئاً بقصص كله سخف ونكارة كالذي نراه في كتب التفسير منسوباً إلى قتادة [1] ومجاهد[2] رضي الله عنهما .

ثم جاء بعد عصر التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات وأفرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً ولا يحجمون على أن يلصقوا بالقرآن كل ما يروى لهم وإن كان لا يتصوره العقل واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات والولع بنقل الأخبار التي يعتبر الكثير منها نوعاً من الخرافة إلى أن جاء دور التدوين[3]، أما في مرحلة التدوين: فحينما دوّن الحديث ضمن ما دوّن من العلوم المختلفة كان التفسير باباً من أبوابه، وما جمع من المأثور أول الأمر كان مذكوراً بأسانيده، وكان في جملته خالياً من الإسرائيليات إلا قليلاً منها لا يعارضه نص شرعي، وبعض منها مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق صحيح كأحاديث بني إسرائيل الموجودة في صحيح البخاري وغيره من أمهات كتب الحديث .

ثم لما انفصل التفسير عن الحديث ودوّن كل منهما على حدة كان ما يدون في أول الأمر يدوّن مقروناً بأسانيده، وكان فيما يدوّن طائفة من الإسرائيليات غير قليلة، وفي بعض منها نكارة وغرابة وكان من يفعل ذلك من المفسرين يرى أنه ما دام قد ذكر الإسناد فقد خرج من العهدة، وعلى من ينظر في السند أن ينتقده ليتعرف درجة المروي وقديماً قال علماء الحديث: "من أسند لك فقد حملك"[4] ومن هؤلاء ابن جرير الطبري .

ثم جاءت بعد ذلك طبقة ممن دوّنوا في التفسير والحديث حذفوا الأسانيد، ولم يتحروا الدقة فيما يكتبون فجمعوا الصحيح وغيره في مصنفاتهم، وفي ضمن ذلك كثير من الإسرائيليات فلبّسوا بذلك على الناس أمر دينهم وكلما تقدم الزمن بالناس، كلما تهاون بعض من تصدوا لكتابة التفسير والحديث حتى وجدنا من بينهم من أعزم بالقصص الإسرائيلي، حتى لا يكاد يدع من ذلك شاردة ولا واردة، ومن هؤلاء أبو إسحاق الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧هـ [5] .

هذا وقد عرض العلامة ابن خلدون في مقدمته لمبدأ دخول الإسرائيليات في

---

[1] - هو قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى سنة ١١٧هـ .

[2] - هو مجاهد بن جبر المكي المتوفى سنة ١٠٤هـ على المشهور، وكان بعض الناس ينقي تفسيره لما يرون أنه كان يسأل أهل الكتاب، انظر: الهوامش الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص: ٢٣.

[3] - انظر التفسير والمفسرون للذهبي (القاهرة، مكتبة وهبة، ط: ٥، ١٩٨٩م، ج/١ ص: ١٧٦.

[4] - الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص: ٢٤.

[5] - المرجع السابق ص: ٢٤.

التفسير وتطوره، وبين الأسباب التي دعت إلى الإكثار من ذكرها ونرى أن نذكر مقالته إتماماً للفائدة .

قال رحمه الله :"وقد جمع المتقدمون في ذلك - يعني التفسير النقلي - وادعوا إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود، السبب في ذلك: أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس والبشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى، وأهل التوارة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من "حمير" الذين أخذوا بدين اليهودية فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة، وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم، وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب العمل بها وتساهل المفسرون في مثل ذلك، وملأوا الكتب بهذه المنقولات، وأصلها - كما قلنا - عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا من المقامات في الدين والملة فتلقيت بالقبول من يومئذ..."[1] .

ومن هذه المقالة يتضح لنا أن ابن خلدون أرجع الأمر إلى اعتبارات اجتماعية وأخرى دينية فعد من الاعتبارات الاجتماعية غلبة البداوة والأمية على العرب وتشوقهم لمعرفة ما تتشوق إليه النفوس البشرية من أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، وهم إنما يسألون في ذلك أهل الكتاب قبلهم، وعد من الاعتبارات الدينية التي سوغت لهم تلقي المرويات في تساهل وعدم تحر للصحة: أن مثل هذه المنقولات ليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل وسواء كانت هذه كل الأسباب أم كانت هناك أسباب أخرى، فإن كثيراً من كتب التفسير قد اتسع لما قيل من ذلك وأكثر حتى أصبح ما فيها مزيجاً متنوعاً من مخلفات الأديان المختلفة والمذاهب المتباينة [2] .

المبحث الأول: موقف العلماء المسلمين والمفسرين إزاء هذه الإسرائيليات

وقد وقف بعض المفسرين من هذه الروايات وقفات حذرة فبعضهم نبه

---

[1] - مقدمة ابن خلدون ط: الشرقية، ص: ٤٩٠ ـ ٤٩١.

[2] – انظر التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم للأستاذ أمين الخولي ط: العلمين، ص: ١٠ـ ١١.

عليها، وقليل من تساهل فيها، وللعلماء منها مواقف:

١- رد كل الإسرائيليات التي تعارض القرآن أو تعارض أصلاً إسلامياً مقدراً.

٢- تعتبر الروايات الإسرائيلية الموافقة للقرآن مقبولة ولكن لنا غنية عنها بما في القرآن.

٣- أما الروايات التي لا تعارض القرآن الكريم ولا توافقه فينبغي أن يكون موقفنا إزاءها موقف الحذر والأناة والحياد، لا نكذبها خشية أن تكون صحيحة ولا نصدقها خوفاً من أن تكون مكذوبة.

وهذا يصدقه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري عنه: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾ [البقرة:١٣٦].

والشاهد في الحديث الشريف قوله: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم"[1].

قال ابن الملك تعليقاً على هذا الحديث: "إنما نهي عن تصديقهم وتكذيبهم لأنهم حرفوا كتابهم، وما قالوه إن كان من جملة ما غيروه فتصديقهم يكون تصديقاً بالباطل، وإن لم يكن كذلك يكون تكذيبهم تكذيباً لما هو حق" [2].

وهناك استدراك على هذا النوع الثالث من الإسرائيليات ذكره ابن كثير عند أول تفسير سورة "ق"، قال رحمه الله تعالى: إنما أباح الشارح الرواية عنهم في قوله: "وحدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج" فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل[3].

موقف ابن تيمية تجاه الروايات الإسرائيلية:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "... ولكن هذه الراويات الإسرائيليات تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح، والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه، والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم يعني "حدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج" وغالب ذلك ما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، وكثير من هذه الإسرائيليات لا فائدة فيها تعود على المكلفين في دينهم وإلا لبينه

[1] - صحيح البخاري كتاب التفسير سورة البقرة باب "قولوا آمنا بالله وما أنزل" ج/٥، ص: ١٥٠.
[2] - لمحات في علوم القرآن للصباغ ص: ١٨٢.
[3] - انظرتفسير ابن كثير طبعة الحلبي، ج/ ٤، ص: ٢٢١.

القرآن الكريم لأتباعه [1] ثم إن ما نزل من القرآن الكريم فيه النفي عن غيره.

موقف البقاعي حول الإسرائيليات:

يقول البقاعي في كتابه "الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة" ما نصه:

"حكم النقل عن بني إسرائيل ولو كان فيما لا يصدقه كتابنا ولا يكذبه الجواز، وإن لم يثبت ذلك المنقول، وكذا ما نقل عن غيرهم من أهل الأديان الباطلة، لأن المقصود: الاستئناس لا الاعتماد، بخلاف ما يستدل به شرعنا في شرعنا، فإنه العمدة في الاحتجاج للدين فلا بد من ثبوته فالذي عندنا من الأدلة ثلاثة أقسام: موضوعات وضعاف وغير ذلك الذي ليس بموضوع ولا ضعيف مطلق ضعف يورد للحجة، والضعيف المتماسك للترغيب والموضوع يذكر لبيان التحذير منه بأنه كذب، فإذا وازنت ما ينقله أئمتنا عن أهل ديننا للاستدلال لشرعنا بما ينقله الأئمة عن أهل الكتاب سقطت هذه الأقسام الثلاثة في النقل عنهم ما هو للحجة، فإنه لا ينقل عنهم ما يثبت به حكم من أحكامنا، ويبقى ما يصدقه كتابنا فيجوز نقله وإن لم يكن في حيز ما يثبت في حكم الموعظة لنا، وأما ما كذبه كتابنا فهو كالموضوع لا يجوز نقله إلا مقروناً ببيان بطلانه...."[2].

مدى خطورة الإسرائيليات على عقائد المسلمين:

لا شك أن الإسرائيليات بما حوته من أباطيل وخرافات نسب الكثير منها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى صحابته - رضوان الله عليهم - واتخذها بعض المشتغلين بالتفسير مادة يشرحون بها بعض نصوص القرآن الكريم تشكل - في صورتها هذه - خطراً بالغاً وشراً مستطيراً، وذلك لإفضائها إلى النتائج التالية:

١- إنها تفسد على المسلمين عقائدهم بما تنطوي عليه من تشبيه وتجسيم الله سبحانه و وصفه بما لا يليق بجلاله وكماله، وربما فيها من نفي العصمة عن الأنبياء والمرسلين.

٢- إنها تصور الإسلام في صورة دين خرافي يعني بترهات وأباطيل لا أصل لها، وكلها تسبيح عقول ضالة، وخيالات جماعات مضللة، ومن أمثلة ذلك ما يروي في صفة آدم عليه السلام من أن رأسه كان يبلغ السحاب أو السماء، ويحاكيها فاعتراه لذلك صلع، ولما هبط على الأرض بكى على الجنة حتى بلغت دموعه البحر، وجرت فيها السفن [3].

[1] - لمحات في علوم القرآن، ص: ١٨٤.
[2] - الإسرائيليات في التفسير والحديث الدكتور محمد حسين الذهبي، ص: ٥٤ ــ ٥٥.
[3] - انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، الدكتور محمد أبو شهبة (القاهرة طبعة مكتبة السنة، ط: ٤، ١٤٠٨هـ) ص: ٥ـ ٦.

٣- إنها كادت تذهب بالثقة في بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين فقد أسند من هذه الإسرائيليات المنكرة شيء ليس بقليل إلى نفر من سلفنا الصالح الذين عرفوا بالثقة والعدالة فاتهموا من أجل نسبة هذه الإسرائيليات إليهم بأبشع الاتهامات وعدهم بعض المستشرقين ومن مشى في ركابهم من المسلمين مدسوسين على الإسلام وأهله، ومن أكثر هؤلاء السلف نيلا منه وتجاهلا عليه: أبو هريرة وعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، ممن لهم في الإسلام قدم راسخة .

٤- إنها كادت تصرف الناس عن الغرض الذي أنزل القرآن من أجله وتلهيهم عن التدبر في آياته والانتفاع بعبره وعظاته والبحث عن أحكامه وحكمه إلى توافه لا خير فيها وتفاصيل لا يعدو أن يكون الاشتغال بها والبحث عنها عبثاً محضاً ومضيعة للوقت، ومن أمثلة ذلك الكلام عن لون كلب أهل الكهف، واسمه وعن عصا موسى من أي شجر كانت وعن طول سفينة نوح وعرضها وارتفاعها وأسماء الحيوانات التي حملت فيها.... وغير ذلك مما طواه القرآن وسكت عنه لعدم فائدة تعود على المسلمين .

المبحث الثاني: موقف المستشرقين وشبهاتهم إزاء الإسرائيليات :

وجد المستشرقون والمبشرون في الإسرائيليات والروايات الموضوعة ما يشبع أهواءهم ويرضي تعصبهم الممقوت ويشفي نفوسهم المريضة الحاقدة على الإسلام ونبيه وقرآنه هذا الحقد والضغن الذي يعتبر امتدادا للحروب الصليبية التي شنوها على الإسلام والمسلمين والتي لا تزال إلى عصرنا هذا تتخذ أشكالاً شتى ومظاهر متعددة.

وقد قام المستشرقون تارة بتصحيح الموضوع من الحديث وتارة بالحكم على الصحيح منها بالوضع، ولم يكن خطرهم قاصراً عليهم بل تعداهم لبعض الجهلة من المسلمين خاصة عن طريق تلاميذهم وخريجي جامعاتهم الذين تربوا على موائدهم وفتاتهم، أبواقا تردد صدى أصواتهم فسلبوا الإرادة وعطلوا العقل بتسليمهم قيادتها لأعدائهم كانوا بحق أشد خطر علينا من المستشرقين أنفسهم كما خطط المستشرقون أن يكونوا، فصاروا لأن المسلم يحذر عدوه ولكن يركن ويأخذ بسلامة صدره ممن هو من أبناء جنسه ودينه؛ ولذا نحاول في هذه النقطة أن نتناول آراء المستشرقين تجاه الإسرائيليات ثم نقوم بمناقشة آرائهم وتفنيدها بأدلة مقنعة .

زعم المستشرقون وعلى رأسهم المستشرق المجري "جولدزيهر" و"كتياني" و"لوت" بأن كثرة الوضع والروايات الإسرائيلية في التفسير بالمأثور يفقده قيمته وعدم الثقة به [1] .

---

[1] - انظر: جولدزيهر مذاهب التفسير الإسلامي (بيروت، دار اقرأ، ط:٢ و: ١٩٨٣م) ص: ٨٦، وما بعدها ١٢٩.

مناقشة شبهاتهم:

ونحن بينا من قبل أن الروايات الإسرائيلية التي تخالف ما عندنا فلا تجوز روايتها ولا الاعتقاد بها فالإسرائيليات دخلت التفسير عن طريق بعض التابعين الذين كانوا من أهل الكتاب قبل أن يدخلوا في الإسلام والذين كانوا كثيراً ما يسألون عما في أهل الكتاب، وقد وقف المفسرون من هذه الروايات وقفات حذرة فبعضهم نبه عليها، وقليل من تساهل فيها، وعلماء المسلمين البارعون لم يتركوا الرواية الإسرائيلية والموضوعة دون تمحيص وبيان كابن كثير في تفسيره "تفسير القرآن العظيم" والإمام الآلوسي في تفسيره "روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني" والدكتور محمد أبو شهبة في كتابه "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، والدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه "الإسرائيليات في التفسير والحديث" وهي لم تشكل أي مشكلة أمام العلماء وإنما هي مشكلة أمام قليلي العلم من حيث التمييز بين ما صح منها وغيره .

فبدراسة أسانيد الروايات ومعرفة أقطابها كشف حال الصحيح منها من السقيم، فالرواية التي تنسب لأحد من أقطاب الإسرائيليات كان العلماء يقفون منها موقف الحذر بغلبة الظن أن تكون إسرائيلية إلا إذا دعمت الرواية من طرق أخرى .

فمن هنا يظهر أن هذه الروايات لم تكن خافية على أهل العلم ولم تكن منفردة في تفسير النص القرآني، وقد جاء في الصحيح من الروايات ما فيه الغنى عن هذه الروايات فوجودها إذن لا ينقص من قيمة الرواية التفسيرية للنص القرآني، فليس إذن كما ظن "جولدزيهر" وحاول أن يضخمه أن التفسير فقد قيمته بدخول هذه الروايات فيه قاصداً من ذلك إبطال هذا النوع من التفسير .

وكان من أبرز النقاط التي أبرزها كل من "جولدزيهر" و"كتياني" و"لوت" من المستشرقين خلال طعنهم في ابن عباس وأخذه عن أهل الكتاب، وأن مدرسته ذات المسحة اليهودية وأنه يرجع في تفسير معاني الألفاظ إلى من يدعى أبا الجلد غيلان بن فروة الأزدي..."[1] .

(للبحث صلة)

---

[1] - المرجع السابق ص: ٨٤ - ٨٨.

دور الصحافة في تطوير مصطلح "الأدب الإسلامي" في ضوء مجلة الأدب الإسلامي الصادرة من الرياض

بقلم: الدكتور محمد طارق الأيوبي الندوي
مدير مجلة "تدائي اعتدال" الأردية الشهرية علي جراه (الهند)

دين غير مجرى الحياة:

إن الإسلام دين كامل شامل، يغطي جميع نواحي الحياة ويسد الحاجات كلها، وهو دين فريد في إنسانيته وآفاقيته وعالميته، فيه قوانين الاجتماع والثقافة والعدل والإنصاف، وهو يعلم القيم الإنسانية والخلقية، وخير مثال لشموليته جميع نواحي الحياة أنه يعلم الإحسان إلى الدواب والأنعام، فكل من له شعور تاريخي وإدراك سليم يعرف أنّ الإنسان كيف كان في القرن السادس المسيحي، وكيف كانت القيم الخلقية والإنسانية والاجتماعية آنذاك، كان الإنسان يعيش في الجاهلية تماماً حتى جاء الإسلام، ففير مجرى الحياة، وأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله عزوجل:﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران:١٩] وأعلن أيضاً﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] ثم أعلن حين رأى أن الرسول قد أدى أمانته وبلغ رسالته فأعلن على لسانه في حجة الوداع:﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

صلة الأدب بالإسلام:

فقد ثبت من هذه الآية الكريمة إعلان إتمام النعمة وإكمالها، فكيف يمكن أن الإسلام لا يعني بالأدب ويعرض عنه، مع أنه ملتزم بالحياة، وهذه حقيقة ثابتة أن الإسلام دين الفطرة، فكيف ينفصل عن الأدب، مع أنه ملتزم بالحياة، نعم، ولكنه غيّر أيضاً مجرى الأدب إلى الرشد والهداية والمنفعة بالإضافة إلى إمتاع الذوق الأدبي الإنساني، فهو دين ورسالة وحضارة وثقافة، وهو تاريخ وفلسفة، فيه كل شيء يحتاج إليه الإنسان ويعالج كل قضية من قضايا الحياة، وإنّ الفكرة الإسلامية ظهرت في الأدب منذ ظهور الإسلام، إلا أنها دخلت في أدبنا الحديث كمدرسة أدبية، أما "الإسلامية" فنعني بها الوجهة الدينية، ومعنى"الإسلامية" في الأدب أنها تهدف إلى أسلمة الأنشطة الأدبية للإنسان المسلم، فهو يعتمد أولاً على تراثه ومادته ودينه وعقيدته، ويمتد إلى سائر ميادين الحياة ويأخذ كل ما ينفع أينما يجد، لأن "الحكمة ضالة المؤمن حيث ما وجدها فهو أحق بها"(١).

هذا أمر مفهوم أن المسلم إذا أتى بشيء مضاد للإسلام وعقيدته في حياته

1 - ابن ماجه كتاب الزهد.

الاجتماعية أو الثقافية أو العلمية أو الحضارية ثار عليه المجتمع الإسلامي كله، ولكن إذا كان أديب من الأدباء يعرض أي شيء من الإبداعات يتصادم مع العقيدة الإسلامية، فلا يتعجب منه أحد ويقول :إنه أدب"، بل يقول البعض إن الأدب هو منفصل من الدين، مع أن الإسلامية توثق صلة الأدب بالعقيدة والدين، وهي تهدف إلى عرض الأدب الصالح الموافق مع العقيدة الإسلامية، وخطتها في الحياة تهدف إلى الخير.

كنا نعرف معرفة تامة أن للمسلم أن يكون مسلماً من حيث فكرته وحضارته وثقافته وذهنه وأعماله، والأدب هوالذي يثقف الإنسان ويعلمه القيم ويرسخ الأفكار في الأذهان، والأدب إذا لم ندمجه بالإسلام فيكون معارضاً للدين والعقيدة ومفسداً للخلق والمجتمع وهداماً للقيم الإنسانية كلها، كما نرى أن الاشتراكيين يريدون غلبة الاشتراكية وكانوا يستخدمون الأدب كوسيلة وأسلحة، فالأدب الاشتراكي والمسحيي يفسد أنّ الأفكار الصالحة، والإسلامية هي التي تريد أن تنقذ البشرية من الفساد والضلالة، يقول الأديب الإسلامي نجيب الكيلاني: "فالأدب أوسع من أن يحيط به مذهب محدود من أن نحصره في قيود من القواعد المحلية أو الطائرة، والإسلام دين شامل لا يعرف حدود الزمان والمكان وإن تلائم معها وتمشى مع منطقهما المنظور المتجدد الأشكال، الثابت الجوهر، وتبعا لذلك تكون الإسلامية من الوجهة الأدبية والفنية أرحب من المذاهب وأسمى من القيود.. وأول مظاهر الإسلامية هي أن الحقيقة عند المسلم هي وحدة لها ثلاثة مظاهر: الحق والخير والجمال فكل ما لدينا من حركة فكرية يجب أن يقود إلى الحق، وكل ما بين أيدينا من عملية سلوك يجب أن يكون هدفها وغايتها الخير كما أن كل ما يوجه أبصارنا وأحاسيسنا وعواطفنا يجب أن يتوجه إلى جميل (١) وإذا كان هناك شيء، يظهر شراً فليس لنا أن نقلعه أو نقوض بنيانه، بل علينا أن نصلحه، ونخرجه من الظروف التي صيرته شراً، فالشر عندنا لا يدفع بالشر بل بالخير قال تعالى: ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤].

فالإسلام هو دين الفطرة، وهو يحمل على القوانين الملائمة مع الفرد والاجتماع والفطرة وينظر إلى الحياة نظرة متفائلة.

مصطلح الأدب الإسلامي مصطلح حديث:

وإذا كان الإسلام ديناً شاملاً فهو يعني الأدب أيضاً، لأن الأدب هو ضرورة الحياة، و لكن مع ذلك نرى أن الأدب الإسلامي يوجد في كل عصر، ونماذجه توجد في كتب إلا أن المصطلح هو جديد مع دلالته المعنوية الحديثة، وعندما نتحدث عن مصطلح "الأدب الإسلامي" فيجدر بنا أن نعلم أولاً أن المصطلح قديم أم

1 - الإسلامية والمذاهب الأدبية، الدكتور نجيب الكيلاني ص: ٨٤.

جديد، فهناك رأي يعتقد أن المصطلح قديم العهد، كما يرى البعض أن نطلق المصطلح على الأدب الذي صدر في عصر النبوة والخلفاء حتى أطلقه البعض على العصرالعباسي، فيقول الأمراني: "عند ما نعود إلى أقدم ما ألف في النقد العربي لفحول الشعراء للأصمعي وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، نجد دورانا لمصطلح "الأدب الإسلامي" أو ما اتصل به كالشعراء الإسلاميين ... الشعر الإسلامي والشاعر الإسلامي ... مما يدل على قدم المصطلح (1).

ولا شك أن هذا الرأي غير مقبول عند النقاد والأدباء الإسلاميين، لأن تلك العصور ليست الحاجة فيها ماسة للدعوة إلى مثل هذا المصطلح، فالمسلم ما زال يعيش في تلك العصور في ظلال الحياة الإسلامية سياسيا واجتماعيا وفكريا، "فقد غاب عن ذهن صاحب الرؤية والنظريات أن استخدام أولئك القدماء كالأصمعي والجمحي لعبارات الشعراء الإسلاميين والشاعر الإسلامي، إنما هو استخدام على فترة وليس على فكرة..... ولا يدل على نظرية في الأدب الإسلامي"(2) فالمصطلح ليس بقديم بل هو حديث العهد، كما اعترفه عضو"الرابطة" نفسه" لا شك أن مصطلح"الأدب الإسلامي" حديث العهد، لم يستعمل إلا منذ سنوات قليلة فقط... فمصطلح "الأدب الإسلامي" من حيث إنه مصطلح لغوي حديث الولادة حقاً، ولا عهد للتراث الأدبي والنقدي به، إذ لا نجد أحداً من نقادنا القدماء أو أدبائنا استعمله أو أشار إليه إشارة عابرة، ولكن الحق الذي لا مرية فيه كذلك أن دلالة المصطلح المعنوية ليست حديثة ولا مبتدعة، بل هي قديمة بعيدة العهد، عرفت منذ جاء الإسلام، ولعبت الكلمة دورها في كلمته مع الباطل"(3).

العلامة الندوي أول من نطق بمصطلح الأدب الإسلامي:

فقد استخدم هذا المصطلح مع دلالته المعنوية الحديثة أولاً في الخمسينيات من القرن المنصرم مع الخلفية الخاصة والاحتياج الشديد الذي حث الغيارى من المسلمين أن يمثلوا الإسلام في الأدب، فقد بدأ دخول الإسلامية في الأدب وبدأت تأخذ مدرسة ومذهبا أدبيا خاصا، ولعل الواعي لأحوال هذه الفترة أعني الخمسينيات بجوانبها السياسية والاجتماعية، يجد أنها مضطربة في تاريخ الأمة الإسلامية والعربية في العصر الحديث، فترة شهدت تحولات سياسية واجتماعية وثقافية كذلك، فقد تراجعت قوى العالم الإسلامي بعد الحرب العالمية الثانية حيث كانت هزيمة العرب في فلسطين، وما تركت من آثار في البنى الاجتماعية والثقافية، توصف بالتبعية، إما للعالم الغربي (الرأسمالي) أو للمعسكر الشرقي (الاشتراكي) وعندما نظر المثقفون العرب

1 - آراء رابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأدب والنقد، كمال المقابلة ، ص: ٧٨.
2 - م. س: ص: ٧٨.
3 - في الأدب الإسلامي، الدكتور وليد قصاب ص: ٥١.

والمسلمون إلى واقعهم شعروا بالغيرة على تراث الأمة وأحسوا بخطورة التحولات فقرروا إشاعة البدائل التي تحفظ للأمة تاريخها وكيانها في شتى المجالات، ومن بينها المجال الأدبي، لذا حاول (الندوي وقطب) الدعوة إلى تأسيس رابطة" الأدب الإسلامي" أو إشاعة مصطلح "الأدب الإسلامي"(1).

دور الصحافة في تعميم الأدب الإسلامي:

إن هذا المصطلح له جذور عميقة قديمة، ولكنه عم وشاع مع دلالته المعنوية الحديثة في عصرنا الحديث، فكيف؟ ومن الذي أدى دورا مهما في تطويره وتعميمه؟ فنبادر بالإجابة عن أن الصحافة هي التي لعبت دورا مهما في تعميم هذا المصطلح، و توضيح مفهومه بين الأوساط العلمية وتعزيزه وتركيزه، فنرى أن الصحوة الإسلامية بدأت في سائر العالم في حين غلبت الاشتراكية والشيوعية على الإنسانية كلها(2). فجاء زعيم الإصلاح السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر سنة ١٨٧١م (3) ودعا الملة الإسلامية إلى التقدم والإصلاح، فهو وتلميذه الشيخ المفتي محمد عبده قد أيقظا المسلمين وهزا المصريين هزا عنيفا عن طريق مجلة"العروة الوثقى" ثم تلاهما عدد من المصلحين الكبار حتى دخلت الصحوة الإسلامية في القرن العشرين، وهذا القرن مليء بالحضارات المختلفة والتحديات الكثيرة، والأخطار المتنوعة بسبب الاستعمار والتمزق والتخلف وبسبب الصراع الحضاري بين الشرق والغرب، ولذلك قامت جهود إسلامية مخلصة قوية لردها ورفضها، ولإنقاذ الأمة الإسلامية وإعادتها إلى الإسلامية الراشدة (4) فقد ظهرت في هذا القرن حركات وجماعات مختلفة لعبت دورا هاما في إطار الفكرة الإسلامية في الأدب العربي بل في أدب اللغات الأخرى أيضا.

إنشاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية:

ومن بين هذه الحركات والروابط أنشئت رابطة الأدب الإسلامي العالمية وأقرت من بين أهدافها تأصيل جذور "الإسلامية" في الأدب وتعزيزها لإنقاذ البشرية من الأخلاق غير الصالحة والرذائل، فقد اتخذت الصحافة كوسيلة لها هي أكبر وسائل العصر الحديث، بل أكبر وسائل العصور كلها، ولو كانت في صورة مختلفة، فقد أصدرت مجلات أدبية في عدة لغات عالمية، وإنّ مجلة"الأدب الإسلامي" تصدر من المكتب الرئيس، فنتوقف عندها قليلاً لأنها قد رسمت في أذهان أهل العلم والأدب ملامح فكرة الأدب الإسلامي، ومنعت القراء من الناشئين والشبان عن قراءة الأدب

1 - آراء رابطة ..... ، كمال المقابلة، ص: ٧٦.
2 - أدب الصحوة الإسلامية، الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي، ص: ٣١.
3 - م.س. ص: ٧٨.
4 - المسحة الأدبية في كتابات الشيخ أبي الحسن، الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي، ص: ٢٩-٣٠.

البذيئ وغير الهادف من الشعر والمسرح، ولكن قبل أن نأتي بتعريف المجلة وعملها البناء في تأصيل الأدب الإسلامي، نذكر شيئاً عن الصحافة.

مدلول الصحافة المعاصرة:

أما الصحافة في الاصطلاح فهي في الأصل جمع الأخبار والأنباء ونشرها وإذاعتها في وقت معين، وهذا الوقت يمكن أن يكون ليوم أو أسبوع أو نصف أسبوع أو لشهر أو نصف شهر أو سنة، أو نصف سنة [1].

إن لم نعد الصحافة نعمة كبرى على الأدب والفكر ولكن لا نستطيع الإنكار لأهميتها البالغة في نشر الفكر وتعميمه، وبخاصة من خلال الصحف الأدبية، لقد تأملنا ونظرنا في جميع النهضات الفكرية والمذهبية التي قامت في بلاد الغرب والشرق فوجدنا الصحافة أكبر عامل لها ولو كانت في شكل متنوع، لأن عمل الصحافة في جوهرها الاهتمام بالجماعات البشرية وتناقل أخبارها ووصف نشاطها ثم توجيه هذه الجماعات إلى الخير والمنفعة، ولذلك تؤثر على الأدب، لأن الأدب أيضا تتكون بوجدان البشرية وخواطرها على حسب اختلاف الزمان والمكان، قد اعترف كثير من العلماء بأن الأدب قد تأثر بالصحافة ويمكن له تحقيق غاياته وأهدافه بطريق الصحافة [2].

إذن فالأدب الإسلامي يريد بناء المجتمع الصالح وتكوين العقل السليم وهداية البشرية إلى الخير، والنصيحة، ويحرص على بناء العواطف الشريفة فلماذا يتأخر بل له أن يتقدم ويختار الصحافة بصفتها الإسلامية التي هي من أحسن الوسائل المؤدية إلى هذه الأهداف النبيلة.

فإن الأدب الإسلامي يهتم بغرس العقيدة الإسلامية في قلوب الإنسان، والصحافة عند أهل الغرب تُعنى بجمع الأخبار ونشرها والاطلاع على ما في المجتمع، ولكن من واجبها عندنا أن تقوم بجمع الأخبار ونشرها ومعالجتها مع التوضيح لما فيها من الخير والشر، فإنها تؤدي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتفريق بين الحق والباطل والتوجيه لما في الحوادث من الخير والشر فإنها تعنى بإرشاد الناس إلى الصحة والسقم دون التصور الغربي إنها تقوم بتشكيل رأى الناس على مفروضة فرضها البعض منهم من قبل، فإنها جهاد بالقلم واللسان وهي تخرج الناس من الظلمات إلى النور وتدعو الناس إلى سبيل السلام والتواصي بالحق والصبر، وتؤدي فريضة الدعوة الإسلامية، فإن صورتها الأولى تُرى في الأسوة الحسنة وعند الصحابة رضي الله عنهم فأصولها وقوانينها كلها ثابتة من النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة، ولا يناسب لنا أن نفصلها في المقام إلا أن نوجز ونقول:إنها مقيدة بالعدل والإحسان والقول السديد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الميزات تحتوي

1 - الصحافة العربية في الهند نشأتها وتطورها، الدكتور أيوب تاج الدين الندوي، ص: ٥٥.
2 - راجع للتفاصيل إلى "مستقبل الصحافة في مصر"، الدكتور عبد اللطيف حمزة، ص: ١٧٩.

على معان كثيرة ولا نحتاج إلى تفصيلها [1].

مجلة الأدب الإسلامي ودورها البناء:

ولكننا اليوم في أشد حاجة إلى استخدامها وترويجها وإصدار الصحف والمجلات لغرس الأفكار الخالدة والوظيفة الإسلامية الواجبة وتسلية الأذهان المضطربة وعرض التصور الإسلامي للكون والحياة ما يريده الأدب الإسلامي، وهذا هو ما قامت به مجلة "الأدب الإسلامي" فبدأت تصدر أربع مرات في السنة باسم" مجلة الأدب الإسلامي" حتى نالت قبولاً في الأوساط الأدبية، ولا شك أنها لعبت دوراً رياديا في تطوير مصطلح الأدب الإسلامي ولا يمكن الإنكار لقيمتها ولا يستهان بفضلها في هذا المجال، فإنها تعنى بالأدب الإسلامي ونقده، وتحتوي على المقالات والمباحث الفنية والعلمية والنقدية والأدبية القيمة، مع أنها تنشر الإبداعات والمقتطفات الفنية من الأدب الإسلامي من القصة والمسرحية والرواية والشعر، فقد بدأت تصدر تحت إشراف العلامة سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي (يرحمه الله) وتحت رئاسة تحرير الدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيس الرابطة حاليا، أما كتابها فهم الخبرة من أدباء العالم الذين يوثق بآرائهم في مجال العلم والأدب.

خصائص المجلة:

ومن خصائص هذه المجلة الهادفة أنها لا تعكف على نشر الأخبار عن الأدب الإسلامي ومباحثه والمقالات فقط بل تنشر النماذج الفنية الرائعة في كل عددها من أصناف الأدب المعاصر، وذلك هو سر قبولها العام ونجاحها الكامل ونشرها في العالم، فكل عددها يحتوي على المقالات والدراسات والنقد الإسلامي والإبداعات من الفن الإسلامي من الشعر والقصة القصيرة والمسرح والأخبار عن الأدب الإسلامي، وكذلك تركز عنايتها في كل عددها على شمولية الرؤي والتنظيرات للأدباء والنقاد العالميين المعاصرين بعنوان"لقاء العدد" فقد ظهر كل عدد لها بتغذية القارئ من حيث دراسة الأدب الإسلامي بكونه مدرسة أدبية ثابتة مع نماذجه الفنية الرائعة، و"لقاء العدد" يكون سببا لتسلية أذهان القراء الذين يفكرون دائما في هذا المصطلح وفي هذه المدرسة الأدبية القديمة الثابتة التي تأسست مع تأسيس الدعوة الإسلامية، وبهذه الميزات تخدم الصحافة الأدبية الإسلامية في جانب، وتنقذ البشرية في جانب، تعرض لها الأدب الهادف وتحل القضايا المضطربة من الحياة الإنسانية المعاصرة وتعايش مع القضايا الإسلامية والمسلمين من خلال إبداعاتها كما تأتي بإمتاع الأذهان وتسليتها. ولقد أشاد بها وبأهدافها ونشرها ومباحثها ومقالاتها كبار من الرجال ومن أهل العلم والأدب.

فقال الشيخ عثمان الصالح: عن عددها الأول:

1 - راجع للتفاصيل كتاب "إسلامي صحافت" ، سيد عبد السلام زيني.

من هنا: فأرى أن هذه المجلة عبقها وأريجها وصداها أنها مجلة صحيفة "مجلة ربيحة إذا سارت على هذا المسار فلا يكون لها بوار" (1).

أهداف المجلة :

والحق أنها صارت الآن من بواعث الغبطة والسعادة في نشر الفكر الإسلامي وتعميم الأدب الإسلامي من خلال صحافتها الأدبية الإسلامية، يجدر بنا أن ننقل أهدافها الآن:

تأصيل نظرية الأدب الإسلامي، وإظهار الملامح السائدة في هذا الأدب قديمة وحديثة .

تحقيق مبدأ عالمية الأدب الإسلامي .

- تأصيل النقد الإسلامي، وتأكيد ما ينبغي أن يتصف به من الموضوعية والإنصاف، والبعد من الغوالب المستوردة والأساليب المبهمة .
- رسم منهج إسلامي مفصل للفنون الأدبية الحديثة .
- الاهتمام بالتفسير الإسلامي للأدب .
- إعادة كتابة تاريخ الأدب العربي من وجهة نظرة إسلامية .
- إظهار صلة الأدب الإسلامي الحديث بالأدب القديم والرد على المحاولات الداعية إلى الانفصام بين أدب أمتنا في الماضي والحاضر.
- دراسة الأدب الإسلامي المعاصر في البلاد الإسلامية، وإظهار الخصائص المشتركة للأدب الإسلامي في العالم .
- التعريب بآداب الشعوب الإسلامية بترجمة النصوص إلى اللغة العربية ونشر دراسات من الأدباء الإسلاميين، على اختلاف أجناسهم ولغاتهم .
- تعهد المواهب الفنية والأقلام الواعدة من جيل الأدباء الشباب ونشر نتاجهم وتقويمه بالتوجيه السديد والنقد البناء السليم .
- تشجيع الأدب الذي يهتم بقضايا المرأة المسلمة وتشجيع نتاج الأدبيات المسلمات.
- رسم منهج إسلامي لأدب الأطفال اليافعين .

التصدى للدعوات الأدبية المشبوهة بما يبين حقيقتها وأهدافها، وموقف الأدب الإسلامي منها:

تمثل المجلة نهج رابطة الأدب الإسلامي العالمية في الاعتدال والحكمة والبعد عن مزالق الصراعات السياسية والحزبية، مع التزامها بأن تكون في خدمة قضايا الأمة الإسلامية عن طريق الكلمة الهادفة الأصيلة الملتزمة بالإسلام .

لن يقتصر ما ينشر في المجلة عن الأدب الإسلامي المكتوب باللغة العربية بل هي

1 - مجلة الأدب الإسلامي ج/١، عدد: ٣، ص: ٤.

مجلة الأدب الإسلامي العالمي، سواء كتب بالعربية أم ترجم إليها .

تنشر المجلة من الأدب العربي والعالمي ما لا يضاد التصور الإسلامي.

تتقبل المجلة الرأي المعارض، وتنشره ما دام ملتزماً بالموضوعية والرصانة، وذلك إيماناً بحرية الكلمة وجدوى الحوار، وثقة بالمبادئ التي تنطلق منها، والأهداف التي تسعى إليها .

تحاول المجلة أن تعاون بين التنظير والإبداع، وقد تغلب جانب الإبداع والنقد التطبيقي على البحوث التنظيرية، فالأدب الإسلامي أحوج ما يكون إلى الإبداع المتميز في فنون الأدب من شعر وقصة و رواية ومسرحية، كما أن ما توافر من نتاجه الكثير أحوج ما يكون إلى النقد الموضوعي الجادّ، الذي يقوّم هذا النتاج، ويتميز هذا الجوهر من الصدف، ويرشد مسيرة الإبداع، دون أن يعني ذلك أننا من أهمية الدراسات التنظيرية - إذا لم يمض وقت طويل على الدعوة إلى الأدب الإسلامي نظرية متكاملة أو مذهباً أدبياً عالمياً(1).

والآن نستطيع القول بعد هذه السطور الموضحة بأن الفكرة الإسلامية توجد في كل عصر، ولكن أثير عليها الغبار وشبه أمره وقام المعاندون لها بجهود وإنكار وتشكيك ولكن مجلة الأدب الإسلامي قد أدت دورها في توضيح الأدب الإسلامي وتعميمه وتعزيزه وترويجه بصحافتها البناءة الصالحة وبعرضها خير النماذج الأدبية الإسلامية المتبادلة للقراء والتزمت بأهدافها إلى اليوم حتى تحقق أكثر من آمالها كما نالت أكثر من غاياتها، ولكننا في أشد الحاجة اليوم أن تكون لنا مجلات عديدة شهرية ونصف شهرية ويومية وتعنى بالقيم الجديدة للصحافة وتعرض الإسلامية في ملفاتها .

فإذا عرفنا أن الصحافة هي أكبر وسيلة من وسائل الإعلام في عصرنا الحديث، فنحن معشر المسلمين في أشد حاجة إلى الصحافة الإسلامية الصحيحة القويمة الصالحة المنقذة من الزيغ والضلال والبذاءة والأفكار السيئة ولتأصيل الفكرة الإسلامية في أذهان القراء من الناشئين والشبان، لأننا إذا لم نعرض الصحيح المتبادل قرأ القاري ما هو في السوق وكنا نعرف أن الأفكار الهدامة الباطلة كانت موجودة في ملفات الصحف الأدبية مزينة بالزخارف والخرافات، فيجب علينا أن نفكر في هذا الأمر ونقدر حظنا ونؤدي واجبنا في تطوير الصحافة الأدبية الإسلامية لتعميق التعاليم الإسلامية والمكارم الفاضلة والقيم الإنسانية الرفيعة المبنية حسب التصور الإسلامي للحياة والكون، لأن للأدب والصحفي المسلم مسؤوليتين: مسؤولية له عند المجتمع بأن يهديهم إلى سبيل الرشد والصواب وينهاهم عن اللغو واللهو والفحش والمجون كما هو مسؤول عند الله بعد الموت لأعماله .

1 - م. س. / ج/١ عدد: ١، ديسمبر ١٩٩٣م.

هل يوجد الفرق بين النبي والرسول؟

الدكتور محمد شاهد
الأستاذ المتشارك في قسم اللغة العربية ، الكلية البرهانية، مومباي

لقد كان من الضروري أن نعرف الكلمتين قبل إثارة هذه القضية عن معنى النبوة والرسالة الاصطلاحي، حتى يتضح لنا موضع الخلاف فيها.

النبي والرسول في اللغة :

كلمة النبي في اللغة مشتقة من أحد أصلين هما:

الأول: [نبأ] وأصله الهمزة من الإنباء، أي أن الفعل يخبر عن حقيقتك لا القول، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ:١-٢]. وسمي النبي نبيا لأنه مخبِر، مخبَر.

مُخبر: عن الله وحيه وخبره، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر:٤٩].

مُخبَر: أي أن الله أخبره، أوحى إليه، قال تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم:٣].

الثاني: [نبا] بغير همزة، وهو ما ارتفع عن الأرض، استعملها العرب على العلم من أعلام الأرض التي يهتدى بها، قال الجوهري: "فإن جعلت النبي مأخوذاً منه، أي أنه شُرف على سائر الخلق".

يصير معنى النبي على هذا، أنه ذو الرفعة والقدر العظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء هم أشرف خلق الله، وهم الأعلام الذين يهتدي بهم الناس فتصلح دنياهم وأخراهم.

الثالث: [نبو] وقد اشتق بعض علماء العربية الكلمة من الأصل [نبو] وهي بمعنى الطريق، ونقل ابن منظور عن الكسائي قوله :"النبي: الطريق، والأنبياء طرق الهدي".

والأصلان الأولان أصح وأسلم، والأخير وإن كان فيه شيء من المعنى إلا أنه يقصر عنهما.

الرسول:

وهي كلمة في اللغة مشتقة من مادة (رسل) وتحتمل أحد معنيين هما:

الأول: (الإرسال): وهو التوجيه، فإذا بعثت شخصاً في مهمة فهو رسولك، قال تعالى حكاية عن ملكة سبا: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل:٣٥].

قال ابن منظور: "والاسم :الرسالة والرِّسالة والرَّسول والرَّسِل، والرَّسول بمعنى

الرسالة، يؤنث ويذكر، والرسول: الرسالة والمرسل)، وأضاف الفيومي: فهو فعول بمعنى مفعول.

وتطلق على المذكر والأنثى والمفرد والجمع، فكلهم رُسل.

الثاني: الرسول بمعنى (من يتابع أخبار الذي بعثه) كقول العرب: "جاءت الإبل رَسَلاً" بمعنى متتابعة.

فيصير أن الرسول وُجهوا من قبل الله تعالى، قال تعالى:﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾ [المؤمنون:٤٤]. أي: متتابعون، فهم المبعوثون برسالة معينة، ومكلفون بحملها وتبليغها ومتابعتها.

النبوة عند الفرق الإسلامية :

وبادئ ذي بدء، لا بد من تقرير حقيقة يسلم بها جميع الأطراف المعتبرة والمأخوذ بقولها في المسألة، وهي:

(أ) النبوة حقيقة ممكنة الوقوع، وأنها أمر معلوم من الدين بالضرورة، وأنها وقعت فعلا، ولا يسع مسلم إنكارها أو التكذيب بها.

(ب) النبوة اصطفاء من الله واختيار منه ـ جل وعلا ـ وأن الإنسان لا يد له فيها ولا خيار، ويخص الله بها من شاء من عباده، قال تعالى:﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. بل يقر أتباع الإسلام قاصيهم ودانيهم بأن النبوة والرسالة فضل من الله تعالى كما قال تعالى:﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

يقرر الحافظ ابن حجر ذلك قائلا: وليست راجعة إلى جسم النبي، ولا إلى عرض من أعراضه، بل ولا إلى علمه بكونه نبياً بل المرجع إلى إعلام الله له بأنى نبأتك أو جعلتك نبيا، وعلى هذا فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة ([1]).

النبوة عند الفلاسفة المسلمين :

ولكن الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام يعتقدون أن النبوة كسب ذاتي يُنال بالرياضات والمجاهدات ونحوها، ويرجع هذا المعتقد إلى أن الفلاسفة يعطون أنفسهم الحق في تقرير العقائد وفق نظرهم، وأما عقيدة المسلمين فهي تتقرر بالوحي المنزل، لا بالاجتهاد الخاضع لتقلبات العقول والأفهام.

وأجاب العلماء على هذا المعتقد في النبوة قائلين: "ومهما كان حسن الظن بالفلاسفة وأقوالهم، فإنه لا يمكن التسليم بغير المقولة التي تذهب إلى حد القول بأن الفلاسفة والحكماء من المسلمين لا يعترفون بالملائكة على نحو اعترافنا بهم، ولا يقولون بغير الاكتساب في النبوة عن طريق التصفية المستمرة للمخيلة، بحيث تصبح، وكأنها مرآة مخلوة، يحاكي النبي بها ما في العقل الفعال، بحيث تنطبع صورة المغيبات في مخيلة النبي انطباعا يمكنه من الحديث عنها حديث الواثق المؤمن.

والناظر في عقائد الفرقة الإسلامية لا يكاد يجد فرقة شذت في كون النبوة

---

[1] - انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٣٦١/٦.

هبة واصطفاء، بل نستطيع أن نجزم بأنها عقيدة مقررة عند الجميع بما فيهم الرافضة بل يتعدى الأمر لديهم ليصير الأصل الثاني من أصول ديانتهم ومعتقدهم .

والمعتزلة (1) كفرقة نشأت في أحضان الفلاسفة والمتكلمين لم توافقهم في هذا الاعتقاد بل هم مع بقية أهل القبلة، إلا أنهم أوجبوا إرسال الرسل على الله تعالى سبحانه عما يقولون، ومذهبهم بهذه الصورة باطل مردود .

هل النبي هو الرسول نفسه، أم أنهما مسميان مختلفان؟

اجتمعت الطوائف المنتسبة للإسلام على أن النبي اسم يطلق على غير الرسول، وقد يجمعهما الرسول ولا يجتمعان في شخص النبي الغير رسول، ولم يعرف مخالف غير المعتزلة الذين ادعوا أنه لا فرق بين النبي والرسول واستدلوا بأربعة أدلة هي:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] . دالة على أن النبي قد يكون مرسلا، وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤] .

٢- أن الله تعالى خاطب محمداً صلى الله عليه وسلم مرة بالنبي ومرة بالرسول، فدلّ على أنه لا منافاة بين الأمرين .

٣- أنه تعالى نصّ على أنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين .

٤- أن اشتقاق لفظ النبي إما من النبأ وهو الخبر، أو من قولهم نبا إذا ارتفع، والمعنيان لا يحصلان إلا بقبول الرسالة (2) .

وأما لماذا نحا هؤلاء هذا المنحى، فلأنهم عرّفوا الإيمان بأنه جمعه الطاعات، ومن قصر منها عن شيء فهو فاسق، لا مؤمن ولا كافر(3) .

وقالوا: إن الإيمان جزء واحد لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله، فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله، ولم يبق منه شيء، فيخلد صاحبه في النار، والإيمان عندهم شيء، واحد يستوي فيه البر والفاجر .

لذا اعتقدوا أن التفريق بينهما يجعل أحدهما أكمل إيماناً من الآخر، وبناءاً على قاعدتهم وأصلهم الفاسد يكفر الأدنى إيماناً، فقالوا بعدم التفريق حتى يخرجوا مما لو قالوه لكفروا به .

ولقد من الله على الأمة بأن رد فتنتهم، ودس مذهبهم مذ أزالهم الله من دار الخلافة بعد القرن الثالث الهجري، حتى تجدد حديثاً من يدعو بدعواهم، وينادي بأقوالهم في زمننا هذا، وردد نفس كلامهم واستدل بنفس أدلتهم وهو الشيخ عبد الله

1 - هم اتباع واصل بن عطاء الغزال، وتلميذه عمرو بن عبيد بن باب، حيث ظهرت فتنتهما زمن الحسن البصري رحمه الله في البصرة، فطردهما من مجلسه، فاعتزلا إلى سارية من سواري المسجد، فقيل لهما ولاتباعها معتزلة، وقيل لأنهم: اعتزلوا قول الأمة في دعواها أن الفاسق من أمة الإسلام، لا مؤمن، ولا كافر، نقلاً عن كتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر الاسفرائيني، ص: ٢٠- ٢١.

2 - انظر تفسير الفخر الرازي٤٩/٢٣ حيث نقل كلامهم وأدلتهم ورد عليها.

3 - انظر لتعريف الإيمان عند المعتزلة، كتاب الإيمان لابن تيمية ص: ٢٨٣.

بن زيد بن محمود، الذي ألف رسالة سماها "إتحاف الأحفياء، برسالة الأنبياء" (1) .

ومن المدهش أن المفسر المعتزلي الكبير أبا القاسم جار الله الزمخشري فرق بين الرسول والنبي في تفسيره الكشاف عند تفسير آية الحج إذ يقول:"دليل بين على تغاير الرسول والنبي ثم ساق حديث أعداد الأنبياء....".

وقد كادت الأمة أن تجتمع على التفريق لو لا ما كان من أمرهم، ولم يعرف عن أحد من أعلام الإسلام إنكار التفريق، بل لو أردنا حصر من أقروا ما استطعنا، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر .

ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية، وشيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره، وشيخ الإسلام ابن تيمية في عدة مواضع(2) من كتبه، وتلميذه العلامة ابن القيم حيث جعل الرسل أعلى طبقتين في الناس، ثم الأنبياء الطبقة الثانية (3) والعلامة ابن خلدون في مقدمته الشهيرة (4) ومن المفسرين الفخر الرازي، والكلبي، والفراء، وأبي السعود، وهو ما قرر في تفسير الجلالين، وهو اختيار العلامة المهايمي، وكذا الخازن والنسفي، والسيوطي، والبغوي، والآلوسي، والقائمة تطول حتى لا نستطيع حصر العلماء الذين يقولون بالتفريق، وأدلة الجمهور مستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، من أدلتهم:

(١) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج:٥٢] .

فعطف النبي على الرسول يقتضي المغايرة مع بقاء حكمهما حكماً واحداً، وجميع أئمة التفسير المذكورين أعلاه قد أكدوا ذلك، ونصوا عليه في تفاسيره عند تفسير الآية .

(٢) وقوله تعالى:﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧] .

ويؤكد المفسرون على أن هذين الوصفين شيئان متغايران، وإلا فما الفائدة من ذكر معاً في موضع واحد، ولذات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يقول القرطبي:"والرسول والنبي - اسمان لمعنيين، فإن الرسول أخص من النبي، وقدم الرسول اهتماما بمعنى الرسالة، وإلا فمعنى النبوة هو المتقدم، ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على البراء(5) حين قال: "وبرسولك الذي أرسلت" فقال له: "قل

1 - ذكر هذه الرسالة الشيخ محمود التويجري ثم رد عليها في كتاب أسماه" فتح المعبود في الرد على ابن محمود" ص: ١١٩.

2 - انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/٧.

3 - انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية ص: ٦١٤.

4 - انظر: مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون، ص: ٩٦.

5 - ٣٨ و(٤١) رواه البخاري كتاب الدعوات، باب: إذا بات طاهراً، انظر صحيح البخاري بحاشية السندي ٩٩/٤، و رواه مسلم، انظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الذكر والدعاء، والتوبة والاستغفار باب الدعاء عند النوم ٣٢/١٧.

آمنت بنبيك الذي أرسلت"... فإنه تكرير للرسالة، وهو معنى واحد فيكون كالحشو الذي لا فائدة فيه، بخلاف قوله: "ونبيك الذي أرسلت" فإنهما لا تكرار فيهما (1).

(٣) وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٠].

فنفي النبوة يقتضي نفي الرسالة، أي أن محمداً صلى الله عليه وسلم لا نبي بعده ولا رسول من مفهوم الكلام وسياقه لأن الرسالة أعم وأشمل، يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: "فهذه الآية نص على أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريقة الأولى والأخرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس.

(٤) روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: قال لي رسول صلى الله عليه وسلم: (إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك رهبة ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مت مت على الفطرة "فاجعله آخر ما تقول، فقلت أستذكره وبرسولك الذي أرسلت؟ قال: لا ونبيك الذي أرسلت".

فالحديث بين الدلالة على الفرق بين النبي والرسول، فلو كانا شيئاً واحداً، فلماذا ينهى رسول الله صلى لله عليه وسلم البراء بن عازب من إبدال كلمة رسول بنبي؟ فلو كانتا بنفس المعنى، فالنهي لا فائدة منه، وكلام الرسول حشو لا داعي له.

وقد علق الخطابي رحمه الله في شرحه معالم السنن عند الحديث قائلا: "ومعنى رده على البراء، من رسولك إلى نبيك أن الرسول من باب المضاف فهو ينبيء عن المرسل والمرسَل إليه، فلو قال ورسوله ثم قال الذي أرسلت لصار البيان مكررا معادا، فقال: ونبيك الذي أرسلت، إذ قد كان نبيا قبل أن يكون رسولا ليجمع له الثناء بالاسمين معا، ويكون تعديدا للنعمة في الحالين، وتعظيما للمنة على الوجهين.

(٥) الحديث الذي رواه أحمد وابن حبان عن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً وحده.... إلى أن قال: "قلت يا رسول الله ! كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وعشرون ألفاً، قلت: يا رسول الله كم الرسل من ذلك؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً، قلت: يا رسول الله ! من كان أولهم ؟ قال: آدم عليه السلام.... الحديث بطوله.

وقد عدل ابن حبان رجال الحديث ووثقهم واكتفى ابن حجر في فتح الباري بذلك قائلا: وصححه ابن حبان (2)، و رواه الإمام أحمد في مسند أبي ذر واعتمد تصحيح ابن حبان ونقله.

---

1 - انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٨/٧.

2 - انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر كتاب الأنبياء ٥٣١/٦.

وهذا الحديث عمدة في الباب، ولم يقل أحد بالتفريق إلا واستدل به، إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث وضح لأبي ذر رحمه الله أن الأنبياء عددهم كثير ولكن الرسل فقط ثلاثمائة وبضعة عشر، فلو كان النبي والرسول شيئا واحدا، فلماذا اختلفت أعدادهم؟

لقد كاد أن ينعقد إجماع المسلمين سلفهم وخلفهم، على التفريق إلا ما كان من المعتزلة ومن وافقهم، ولكن هذا الشذوذ لا يعتمد به، والتفريق هو الأصح والأولى.

التعريف الاصطلاحي لكلا الكلمتين :

وهذا الخلاف بعكس الخلافات السابقة، فهو خلاف معتبر وله أوجه عديدة، ويرجع الخلاف إلى عدم وجود نص شرعي صحيح في التعريفين، بل كل ما فيه اجتهادات من الفقهاء، والعلماء للوصول إلى تعريف من خلال استقراء النصوص، فمنهم من أصاب ومنهم من قارب ومنهم من نأى وغرّب.

وقد جمع العلامة الآلوسي ستة أقوال من مجموع سبعة ذكرها العلماء، وهي كالآتي:

القول الأول:

الرسول ذكر حر بعثه الله تعالى بشرع جديد يدعو الناس إليه.

والنبي يعمه، من بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام.

وقد اعتبره الآلوسي قولاً مقبولاً بالجملة، وهو اختيار المفسر أبي السعود، وقد ذكره النسفي في تفسيره، ولم يرجحه وهو اختيار العلامة ابن القيم والشيخ ابن العثيمين.

القول الثاني:

الرسول ذكر حر بعثه الله تعالى إلى قوم بشرع جديد بالنسبة إليهم، فان لم يكن جديدا في نفسه كإسماعيل عليه السلام إذ بُعث لجرهم أولا.

والنبي يعمه، ومن بعث بشرع غير جديد كذلك.

واعتبره الآلوسي مقبولاً بالجملة.

القول الثالث:

الرسول ذكر حر له تبليغ في الجملة، وإن كان بياناً وتفصيلاً لشرع سابق

والنبي من أوحى إليه، ولم يؤمر بتبليغ أصلاً أو أعم منه، ومن الرسول.

واعتبره الآلوسي مقبولاً في الجملة، وهذا هو التعريف الشائع بين العلماء، كما قرر ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية، وكذلك هو معنى كلام ابن قيم الجوزية، وهو اختيار شيخ المفسرين ابن جرير الطبري وهو المختار في تفسير الجلالين، وهو اختيار عفيت عبد الفتاح طباره (1)، وأسعد الصاغر جي،

---

1 - انظر: مع الأنبياء في القرآن الكريم ص: ١١.

ومحمد علي الصابوني .

القوال الرابع:

الرسول من الأنبياء، من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلا عليه،

والنبي غير الرسول من لا كتاب له .

اعتبره الآلوسي مقبولا في الجملة، وهو قول النسفي، واختيار الزمخشري وذكره أبو السعود، ولم يرجحه، وقد ذكره الفخر الرازي ولم يعلق عليه بشيء .

القول الخامس:

الرسول من له كتاب أو نسخ في الجملة.

والنبي من لا كتاب له ولا نسخ .

اعتبره الآلوسي مقبولا في الجملة، ولكن لم يرجحه أو يقبله أحد على حد اطلاع الباحث بل إن الفخر الرازي ذكره في تفسيره ورفضه، ورد عليه قائلا: وهؤلاء يلزمهم أن لا يجعلوا إسحاق، ويعقوب، وأيوب، ويونس، وهارون، وداود، وسليمان أنبياء لأنهم ما جاؤوا بكتاب ناسخ (1) .

القول السادس:

الرسول من يأتيه الملك عليه السلام بالوحي يقظة .

والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام لا غير .

وهو ما رجحه الفخر الرازي بعد سرد أقوال أخرى، وأضاف "أنه ربما أخبره رسول قبله أنه نبي" وكذلك هو قول الخازن واختياره، وهو اختيار العلامة البغوي، وذكر أبو السعود هذا القول، ولم يرجحه كما أن الآلوسي رد عليه واستبعده قائلا: "وهذا أغرب الأقوال، ويقتضي أن بعض الأنبياء عليهم السلام، لم يوح إليه إلا مناما وهو بعيد، ومثله لا يقال بالرأي....(2) .

القول السابع:

الرسول صاحب شرع خاص .

والنبي من بعث للدعوة إلى شرعه أو شرع غيره .

وهو القول الذي اعتمده المهايمي، ولم يذكر سواه .

وبالنظر للأقوال السبعة، يستطيع المرء من خلال الاستقراء أن يرى بينها بوناً شاسعا في المفاهيم والدلالات، فمنها ما يدل على أن قائليها استقروا نصوصاً كثيرة، وبناء عليها استنبطوا هذا التعريف، ومنها ما يدل على أن القائل أخذ جانباً من النصوص، وترك الباقي فقصر، فيكون قوله لا وجه له البتة .

---

1 - انظر: المرجع السابق.

2 – انظر: تفسير الآلوسي ٢٧٢/١٧ لقد اعتبر الآلوسي الأقوال الخمسة الأولى، مقبولة بالإجمال ورد هذا القول فقط ولم يعرف عنه ترجيح لهذا، ولكن ملخص كلامه أننا إن أقررنا التفريق بين النبي والرسول فيكون الرسول من أوحي إليه وأمر بالتبليغ، بالنبي من أوحي إليه سواء، أومر بالتبليغ أو لم يؤمر، ويستمر قائلا: أنه أيضا قد يكون من بعث لتقرير شرع سابق أو بعث بكتاب وهكذا.. تفسير الآلوسي ١٧٣/١٧ بتصرف واختصار. فيكون بذلك اعتبر أن جميع الأوجه مقبولة وممكنة إلا أن يوحى للنبي مناماً فهذا غير ممكن ولا يمكن الموافقة عليه.

وهنا سنتناول الأقوال قولا قولا، فالقولان الأوّلان، هما أوجه الأقوال، وأقربها للصحة، وأكثرها استنادا للنصوص، ويمكن تنزيل أكثر النصوص عليهما، والفرق بينهما ينحصر في نقطة واحدة هي كون الشرع الذي أمر النبي بتبليغه جديد على الأمة المدعوة أم قديم ؟

وسنوضح أهمية هذا الفرق لاحقا .

أما القول الثالث فهو كما قلنا الذي عليه جمهور العلماء، وهذا غريب، بل إنني أجده بعيداً غاية البعد، وأندهش لاعتماد العلماء عليه، لأن النبي الذي لا يبلغ رسالة ربه، كيف يكون نبيا؟ وهل يجوز له كتم العلم؟ وهل النبي بلا اتباع ؟

عدة استفسارات ترد عليها أدلة الشرع، فالأمة مجتمعة على أن الله يرسل الرسل كما يرسل الأنبياء، وأن لهم اتباع ولا يجوز لهم كتم العلم والأدلة على ذلك هي:

١) قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الحج: ٥٢] .

فالآية نص على أن الله أرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم رسلاً كما أرسل أنبياء، فإذا كان الفرق بينهما هو البلاغ فالإرسال يقتضي البلاغ من النبي .

٢) إن ترك تبليغ الوحي، يوجب كتماناً له، والله لا ينزل وحيا وعلما على أحد ليكتم في الصدور ولا يستفاد منه، وإذا ما قبض هذا النبي مات العلم والوحي بموته ودفن معه في قبره .

٣) جاء في حديث ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد....."(1) .

فالسؤال هنا كيف آمن بهذا النبي رهط وبذاك رجل وبذاك رجلان؟

فالحديث يدل على أن هؤلاء الأنبياء قد بلغوا، وقد حصل تفاوت في درجة استجابة الناس لهذا النبي عن ذلك .

٤) وجاء في حديث أنس بن مالك ما يؤكد الحديث السابق، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صُدقت، وإن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد".

٥) من المعروف أن أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام كثروا جداً، ولكن القرآن الكريم لم يذكرهم جميعا، وإنما اكتفى بقول أنهم كانو يحكمون بالتوراة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة:٤٤] .

فالآية توضح أن التوراة أنزلت ليحكم بها هؤلاء الأنبياء، ولمن؟ للذين هادوا وهؤلاء فيهم الأحبار والربانيون، فما الحاجة لهؤلاء الأنبياء إذا؟ وما القصد من أن

---

1 - هذا حديث ابن عباس المتفق عليه، وهذا لفظ الإمام مسلم، انظر: صحيح مسلم كتاب الإيمان باب: موالاة المؤمنين ١١١/١، وصحيح البخاري كتاب الطب، باب: من لم يرق: ٢٦/٧.

النبي لا يبلغ ولا يؤمر بالتبليغ فكيف يكون قائدا وهو لا يعرف؟ فقد قال صلى الله عليه وسلم :"كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفا فيكثرون"(1).... الحديث بتمامه .

إن القائد أو الحاكم الفاسق تعرفه رعيته، فما بالك بنبي ذي رسالة؟ فهو أولى بالمعرفة، يقول ابن حجر:"أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبيا يقيم لهم أمرهم ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة".

ومعنى هذا الكلام أن النبي كانت له مهمة في إزالة ما غيروا، وإعادة اليهود إلى كتاب ربهم ويحملهم على التمسك بأوامره ونواهيه .

٦) قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ [البقرة:٢٤٦] .

وهذا النبي الذي لم يسم، هو أحد قادة بني إسرائيل وساستهم، وقد علم الناس فضله ومكانته وعلموا نبوته فجاؤا يسألونه، ثم أجابهم بما يوضح أن الوحي الذي سينزل عليه ملزم لهم، وعليهم إلزامه وتنفيذه وهو يناقشهم في قدرتهم على ذلك.

فهل يحدث هذا إلا بالبلاغ؟ وكون البلاغ حجة على الناس يلزمهم بعقاب أو أجر .

٧) والبلاغ أحد أهم واجبات النبوة لإقامة الحجة على الخلق ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥] .

ويتساوى في ذلك النبي والرسول، دل على ذلك الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي (2) والسيوطي(3) وأبو يعلى، عن الحارث الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم:"إن الله أمر يحيى بن زكريا، بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهن، فأوحى الله إلى عيسى إما أن يبلغهن أو تبلغهن، فأتاه عيسى فقال له: إنك أمرت بخس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن.. فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، فقعد على الشرفات فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات، أن أعمل بهن....." الحديث بتمامه .

فالحديث نص على أن الله أوحى لنبيه يحيى عليه السلام، ثم أمره بالبلاغ، وسياق الحديث يوضح خشية يحيى عليه السلام من عدم البلاغ، وأنه قد يعاقب أو يعذب، فهذا يدل على أن البلاغ مطلوب من النبي، هذا أن لم يكن واجبا عليه .

وبعد هذا فخلاصة الكلام أن الأنبياء يوحى لهم ثم يؤمروا بالبلاغ كأي رسول، وأن هذا ليس بالفرق المقصود بينهما أبدا، والأدلة السابقة تستوفي المقصود

1 - رواه البخاري كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل ١٤٤/٤.

2 – رواه الترمذي بإسنادين: كتاب الأمثال، باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام...٣٠٨/١٠- ٣٠٢ وقال: حديث حسن صحيح

3 - انظر: صحيح الجامع الصغير، و زياداته ١٠٠/٢، وقال الألباني : صحيح.

وتدل عليه .

أما القولان الرابع والخامس:

فمتقاربان يجتمعان في كون النبي لا كتاب له، ويفترقان في كون النبي لا معجزة له في الرابع، ولا نسخ له في الخامس .

الكتاب: أما كون النبي لا كتاب له فهو مخالف لنصوص السنة النبوية الثابتة فقد ثبت أن نبي الله شيث بن آدم، وإدريس عليهما السلام، قد أتيا بكتب، يثبت ذلك بنص الحديث الذي رواه ابن حبان عن أبي ذر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم:"يا رسول الله كم كتابا أنزله الله؟ قال: مائة كتاب، وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسين، وأنزل على اخنوخ ثلاثين صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوارة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن..."(1) .

نبوة شيث عليه السلام ثابتة في السنة النبوية، أما إدريس (أخنوخ) فقد كان نبياً، فالأمة متفقة على أن نوح عليه السلام هو أول رسول من ذرية آدم لنص حديث أبي هريرة، أن الناس يطلبون من نوح أن يشفع لهم عند ربهم فيقولون له:"يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض" الحديث(2) .

ولقد وضع البخاري في صحيحه باباً سماه:"ذكر إدريس عليه السلام وهو جد أبي نوح، ويقال جد نوح عليهما السلام، وقول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[مريم: ٥٧]، فلو جمعنا (خمسون لشيث+ ثلاثون لإدريس= ثمانون صحيفة) وهذا يعني ٧٧٪ مما أنزله الله من الكتب على الأنبياء والرسل مجتمعين .

فهل بعد هذا يكون النبي بلا كتاب؟

المعجزة: أما دعوى النسفي والزمخشري يرحمهما الله، أن النبي لا معجزة له فهو غريب، لاسيما وأن البخاري ومسلما قد أخرجا في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"ما من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله تعالى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"(3) .

(ما من) أسلوب توكيد، والمعنى أن لا بد لكل نبي من معجزة ، يقول الحافظ ابن حجر :"هذا دال على أن النبي لابد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه، ولايضره من أصر على المعاندة) .

وقال في معنى الحديث الإجمالي:"والمعنى أن كل نبي أعطي آية أو أكثر من

1 - حديث أبي ذر الطويل، وقد سبق تخريجه، وقد صححه الألباني، انظر: مشكاة المصابيح برقم:٥٧٣٧ ، ١٥٩٩/٣ ، وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٩/١– ١٦٠.

2 - حديث الشفاعة الطويل.... رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) ١٠٦/٤.

3 - حديث متفق عليه، رواه البخاري كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي ٩٦/٦، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا ٧٥/١.

شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها [1].

ولذا تكون المعجزة ملازمة للنبوة، حتى يتبين للناس صدق النبي، ويعرفوا الكذابين ومدعي النبوة، وهذا دليل آخر على كون البلاغ لازما للنبي، إذ ما الداعي لإظهار المعجزة، ما لم يؤمر بالبلاغ !!!

النسخ: لم أطلع على ما يثبته، ولا ما ينفيه، وكل ما وقعت عليه عيناي في الأمر قوله تعالى:﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، فكل رسول ونبي له شرعة ومنهج لا يوافق فيه الآخر، فكل منهم له خصوصية تتناسب مع القوم الذين أرسل إليهم أو نبي فيهم، بينما اتفق الجميع على الدعوة للتوحيد .

ومن ظاهر الآية تفهم أن قد يحرم على نبي شيء كان مباحا في شريعة من قبله أو العكس والله أعلم .

أما القول السادس: فقد رده العلامة الآلوسي كما أسلفنا، وأوافقه فيما ذهب إليه، إذا كيف تنزل الصحف على شيث وإدريس - عليهما السلام - مناما وكيف يؤيد الأنبياء بالمعجزات مناما ؟!!

أما القول السابع: فهو قول يحتاج إلى تأمل فالرسول صاحب شرع خاص، والنبي من بعث للدعوة إلى شرعه أو شرع غيره .

والفرق بينهما دقيق لكنه غير صحيح، فإن كلامه يصدق على النبي، وأما الرسول فيتساوى مع النبي في ذلك فقد ثبت أن هناك رسلا دعوا إلى شرع رسل سبقوهم كذرية إبراهيم، (إسماعيل كان رسولا لجرهم، وإسحاق رسولا لبني كنعان في أرض فلسطين، ويعقوب لنفس القوم، ويوسف رسولا لأهل مصر) وكلهم كانوا يدعون بشرع أبيهم إبراهيم عليه وعليهم السلام، وكلهم رسل دعوا بشرع سابق عليهم وبكتاب أنزل على غيرهم .

وقد ذكرهم الله تعالى في عدة مواضع مقترنين، منها قوله:﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾ [آل عمران:٨٤] .

وقوله:﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦] .

وقوله:﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [النساء:١٦٣] .

أما القولان الأول والثاني:

فالأول: يدخل في عموم القول السابع، إذ قد يبعث رسول ليقرر شرع نبي أو رسول سابق له كما أسلفنا في القول السابع وليس هذا هو الفرق المنشود بينهما.

وأما الثاني: فإنه يجعل أساس الفرق هو كون الشرع جديدا بالنسبة للمبعوثين، وان لم يكن جديدا بالنسبة للرسول، أما النبي فمن بعث لتجديد شرع سابق قد بلغ به قومه من قبله، وهذا غير صحيح، فالأنبياء تأتي أقوامها بشرع

1 - انظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٩/٤.

جديد عند نسخ شرع سابق مثلاً، أو كما هو الحال عند إنزال كتاب على النبي كشيث بن آدم، وإدريس عليهما الصلاة والسلام، فقد أنزل عليهما كتب وصحف ولابد أن فيها أحكاما وشرائع جديدة، والله أعلم .

ومجمل الصفات التي أثبتناها للأنبياء والرسل والتي يشتركون فيها في معرض الرد سبع أمور هي:

١- كلاهما يبلغان ما أوحي إليهما - الرد على القول الثالث .
٢- يوحي إليهما ولا فرق بينهما - الرد إجمالي .
٣- يوحي إليهما يقظة ومناما - الرد على القول السادس .
٤- قد ينزل عليهما كتاب - الرد على الرابع والخامس .
٥- كلاهما يؤيدان بالمعجزات - الرد على الرابع .
٦- قد يوحى لهما بنسخ - الرد على الخامس .
٧- قد يدعيان إلى شرعهما الخاص أو شرع من كان قبلهما - الرد على السابع والأول والثاني .

وختاما فإن الراجح في المسألة والصواب إن شاء الله هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ يجعل الفرق في كون النبي أرسل لمن خالف أمر الله فعندها يصبح رسولا لا نبيا .

فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبيء بما أنبأه الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه، فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول[1]

تعريف الرسول الاصطلاحي: هو الذي ينبئه الله، ثم يأمره بأن يبلغ رسالته من خالف أمره [2] .

تعريف النبي الاصطلاحي: هو الذي ينبئه الله بأن يعمل بشريعة من قبله ولم يرسل إلى كفار خالفوا أمر الله ليبلغهم رسالة من الله إليهم، وقد يوحى إليه وحي خاص في قضية معينة، فالأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرونه به المؤمنين بهم [3] .

★★★

1 - انظر: كتاب النبوات لابن تيمية نقلاً عن مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر حسين الشيخ ص: ٤٦٧.
2 - المرجع السابق، ص: ٤٦٦
3 - المرجع السابق، ص: ٤٦٥.

مفردات القرآن

(٣٥)

للعلامة السيد سليمان الندوي

(١٨٨٤-١٩٥٣م)

جمع وترجمة : محمد فرمان الندوي

التزكية:

معنى كلمة زكى لغة: طهر، ونظّف، استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة في معنى أن تطهر النفس البشرية من كل نوع من النجاسة والرجس، وتصقل مرآتها من الصدأ وتُجلى، قال الله عزوجل في سورة الشمس: [٧-١٠] ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ❖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ❖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ❖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى:١٣- ١٤]، وقد اعتبر القرآن ثمرة دعوة الإسلام في موضع بكلمة تزكية وتزكى، قال الله عزوجل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ❖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ❖ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ❖ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [عبس:١- ٤].

قد انكشف من هذه الآيات مدلول التزكية في القرآن الكريم، والتزكية من أهم أهداف بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من وظيفته أن يجلي النفوس البشرية، ويطهرها من السيئات والنجاسات ويُحليها بحلى الأخلاق والأعمال، وقد اعترف بهذه الصفة القاصي والداني من الناس، حتى أعداء الإسلام(١).

الجار ذي القربى والجار الجنب:

اختلف المفسرون في معنى كلمتي "القربى" و"الجنب" فبعضهم يقول: معنى القربى: أولو الأرحام، ومعنى الجنب: الغريب، وابن السبيل، والذي لا قرابة بينك وبينه، أي الجار المجانب وبعضهم يقول: معنى القربى أهل ملة واحدة، ومعنى الجنب: أهل ديانات أخرى مثل اليهود والنصارى، والمشركين (تفسير الطبري في تفسير الآية).

الواقع أن هذا الاختلاف لا طائل فيه، إن غاية التعليم المحمدي أن الرجال الذين لهم صلة قوية بأناس سواء كانت هذه الصلة للقرابة أو للملة أو الصداقة والمودة، إضافة إلى الجوار، جديرون بالتفضيل على الآخرين الذين ليست لهم إلا رابطة الجوار، وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحكم الإلهي في أحاديثه المختلفة، فالأولى في ذلك والأهم أنه اعتبره ثمرة الإيمان ونتيجته مباشرة،

[1] - سيرة النبي ج ٦/١٠.

مرة كان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً بين الصحابة إذ قال بأسلوب شيق ممتع: والله لا يؤمن - ثلاثاً - قيل: ومن يا رسول الله ؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه، (متفق عليه عن أبي هريرة، خ ٦٠١٦- م:٤٦)، وقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، وقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (خ ٥١٨١ - م - ٤٧)، وقد عدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الإحسان إلى الجار سببا للتقرب إلى الله تعالى، فقال: خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله، خير لجاره (رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رقم الحديث: ١٩٤٤) وقال تعليما لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: مازال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه (متفق عليه خ ٦٠١٥، وم ٢٦٢٥) وفي هذا إشارة إلى أن علاقة الجيران مثل علاقة أولي الأرحام وذوي القربى.

إن أفضل وسيلة لتوثيق العلاقات وتنمية الحب مع الجيران تبادل الهدايا والتحف، وقد يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أزواجهن بهذا الأمر، مرة سألته عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك باباً، (البخاري : ٢٢٥٩) وهذه الهدية لا تعني شيئاً غالياً، بل تتأدي بشيء تافه رخيص، وإذا لم يكن شيء، فمرق، ولو كان كثير الماء، وقد نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر الصحابي المتوكل على الله كثيراً، يا أبا ذر! إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك (١) (مسلم :٢٦٢٥). [٧-١٠].

السائل:

معنى السائل: الطالب، ولا يصح أن يراد بكلمة السائل المتسول، بل المراد منه كل ذي حاجة يطلب من أحد مساعدة مالية، قال الله عزوجل ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:١٩]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ❖ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج:٢٤- ٢٥]. وقال الله في سورة الضحى رقم الآية:١٠ ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ يفهم من قرينة كلمة "أغنى" المذكورة من قبل، معنى السائل المتسول والمكدي عامة، لكن هذه الكلمة أعم من ذلك وأشمل، أي كل ذي حاجة يطلب مساعدة سواء كانت بدنية أو مالية أوعلمية (٢) حتى لو أن الأعرج طلب مساعدة كتفك، فهو أيضاً في مدلول السائل، ولا ترد سؤاله بشدة، بل أوف بحاجته حسب وسعك، وإن لم تقدر على ذلك فاعتذر إليه بلين وحسن معاملة.

من صور المساعدة أيضاً أن تشفعوا للمستحق بذلك للنصر، قال الله عزوجل ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً

[1] - سيرة النبي ج ٦/١٣٦- ١٣٨.

[2] - ورد في تفسير الطبري معنى الآية: وأما من سألك من ذي حاجة فلا تنهر، ولكن أطعمه واقض حاجته، وقال أبو القاسم جار الله الزمخشري: أراد بعض المفسرين من السائل في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ طالب العلم، وقيل: أما إنه ليس بالسائل المستجدي، ولكن طالب العلم إذا جاءك فلا تنهره.

يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ [النساء:٨٥]، إن هذه الآية وإن كانت تتعلق بالحرب من نظم العبارة وترتيبها أي لو أن قبيلة ضعيفة، التمست أن يشفع لنصرها في مواجهة القبيلة القوية فالأولى أن يشفع لها في أعمال الخير ويقبل طلبها، لكن سعة الألفاظ القرآنية تمتد إلى شفاعة لكل عمل حسن، وذكرت فيها هذه القاعدة أن شريك كل عمل حسن يثاب حسب جهده مع المباشر لذلك العمل، كما أن المتعاون على الاثم يعاقبه مع مرتكبه ، قال الله عزوجل في آية أخرى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢] فإيتاء ذوي الحاجة، وتوفية احتياجات المحتاجين حسب المقدرة حق لكل مسلم على أخيه، لا بد من أدائه، لعل النبي صلى الله عليه وسلم شرح الآيات المذكورة أعلاه بكلماته هذه: من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة (خ ٢٤٤٢ . م ٢٥٨٠) وفي رواية جامع الترمذي : "والله في عون عبده ما كان العبد في عون أخيه" (ت ١٤٢٥ و: ١٩٣ و: ٢٩٤٥)[1] .

المحروم:

اختلف المفسرون في معنى" المحروم" فقال بعضهم: من لا سهم له في الغنيمة، وقال بعضهم: من حرم المال، وقال آخرون: المتعفف، لكن الصحيح هو الرجل المنكوب الذي نزل على حرثه أو كسبه قارعة من السماء فصار محتاجا إلى الآخرين، وقد أيد هذا المعنى أصحاب القواميس وبعض المفسرين حتى القرآن الكريم (٢).

الصدق:

الصدق أكبر صفة من الصفات الربانية، ومن يكون أصدق قولاً من الله عزوجل: قال الله تعالى في مجيء يوم القيامة: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧] ، وقال عن وعد الجنة: ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢]. والله تعالى صادق فشريعته صادقة، قال: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام:١٤٦] وقال : ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران:٩٥] وقال : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر:٣٣]، فالمراد من الصدق في هذه الآية الأخيرة شريعة الله تعالى أو كتابه، لكن عموم كلمة "الصدق" يحتوي على كل نوع من الصدق، فعلم من هذا أن المتقين يصاحبهم الصدق، وهم يقبلون كل كلام صادق، ويقدمون في

[1] - سيرة النبي ج ٦/ ١٤٨.

[2] - سيرة النبي ج ٦/١٤٦- وقال ابن جرير الطبري: المحروم المصاب ثمره وزرعه، قال ابن منظور في لسان العرب المحروم: المحارف الذي ليس له أحد يعطف أو يعطيه شيئا، وقيل: من لا ينمي له مال، وقال الأزهري: هو الذي حرم الخير حرمانا.

قولهم وعملهم نماذج الصدق .

وان من شأن المؤمنين أنهم كلما رأوا كلمات الله ورسله تتحقق أمام أعينهم نادوا بأعلى صوتهم: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب:٢٢] وإن الرسل يتلقون العلم من الله تعالى فإنهم يكونون صادقين ، قال الله عزوجل: ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] .

يراد من كلمة "الصدق" عامة معنى الكلام الصادق، لكن مدلولها في ضوء تعاليم الإسلام أوسع، يأتي في إطارها كل نوع من صدق العمل مع صدق الكلام، وقد قسم الإمام الغزالي بدقة وإمعان إلى ستة أنواع في كتابه :إحياء علوم الدين، واستنبط معناها من القرآن والسنة (١) الصدق في القول، (٢) الصدق في النية (٣) الصدق في العزيمة (٤) الصدق في إيفاء العزيمة (٥) الصدق في العمل، (٦) الصدق في مراتب التدين، وإذا وسعنا معناها أتت جميع أنواع الصدق في ثلاثة منها، صدق اللسان، صدق القلب، صدق العمل .

فصدق اللسان هو ما ينطق باللسان، ينطق صدقاً، ولا يخرج أي كلمة من الفم ضد الصدق، هذا هو القسم العام المشهور للصدق، يجب المواظبة عليه لكل مسلم، فهو يتضمن إيفاء الوعد وحسن التعامل مع الآخرين، وهو أكبر علامة للإيمان والإسلام، وما سوى ذلك من أنواع الكذب يساوي نفاق القلب، قال الله عزوجل: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

وصدق القلب ينتمي إلى القلب، فالصدق والإخلاص من هذه الناحية معناهما واحد ، فتارة يكون إبداء الصدق من اللسان كذبا لأنه لم يخرج من أعماق القلب، إن المنافقين كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ويقرّون برسالته باللسان، وكانت رسالته حقا، لكن هذا الإقرار بالنبي كان معاكسا لضميرهم، لذلك قال الله عزوحل: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] .

وصدق العمل هو ما كان موافقا للقلب أو بتعبير آخر: كانت الأعمال الظاهرة مطابقة للصفات الباطنة، مثلاً أن رجلا يتظاهر بالخشوع في صلاته وليست نيته إلا الرياء، فالظاهر أنه مرائي وكذاب، وهناك كذب عملي أدق من هذا، هو أن رجلا لا يصلي للرياء لكن خشوعه الذي يظهر من ظاهر صلاته ليس في باطنها، فلا تترجم أعماله الظاهرة عن باطنه، فهو ليس صادقا في أعماله، والحقيقة أن المسلمين جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم مؤمنين بالله إيمانا قويا صادقين عند الله تعالى قال الله عزوجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥] (١) .

[1] - سيرة النبي ج ٦/١٧١- ١٧٦.

١- البروفيسور عبد القوي الدسنوي في ذمة الله تعالى

تلقت الأوساط العلمية والأدبية في الهند نبأ وفاة البروفيسور عبد القوي الدسنوي يوم الجمعة في اليوم الثامن من شهر يوليو عام ٢٠١١م، المصادف اليوم الخامس من شهر شعبان سنة ١٤٣٢هـ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم معروفاً بأعماله العلمية والأدبية بين المجتمع العلمي والديني، وكان ينتمي إلى الأسرة الدسنوية التي هي معروفة بالتاريخ الديني والعلمي لدى العلماء والأدباء والمؤرخين، وكان العلامة الكبير الدكتور السيد سليمان الندوي من هذه الأسرة، وعرف بفضله وأعماله التاريخية والتحقيقية والدراسات العلمية لا في الهند وحدها، بل عرفه العالم الإسلامي بوجه خاص بمكانته العلمية السامقة، وكان السبب الكبير في التعريف بندوة العلماء ومكانتها القيمة.

أما الراحل الكريم البروفيسور عبد القوي الدسنوي فقد تحدث عن حياته وأعماله في كتابه الذي سماه:"يادكار سليمان" (ذكرى السيد سليمان) كما أنه أقام في بهوبال، حيث كان أستاذاً في إحدى الكليات العصرية، وطابت له الإقامة هناك حتى آخر حياته، وقد صدر كتاب قبل وفاته حول حياته وأعماله باسم"عبد القوي الدسنوي".

رحمه الله رحمة واسعة، وغفر له زلاته، وأسكنه فسيح جناته، وألهم أهله وذويه الصبر الجميل على وفاته﴿فكل نفس ذائقة الموت﴾ .

٢- والدة الدكتور هارون رشيد الندوي النصيرآبادي إلى رحمة الله تعالى

انتقلت إلى رحمة الله تعالى والدة الدكتور هارون رشيد الندوي كبير الموظفين في إدارة دار العلوم لندوة العلماء، مساء الأربعاء التاسع عشر من شهر شعبان عام ١٤٣٢هـ، الموافق ٢١/من شهر يوليو عام ٢٠١١م، هناك في القرية تمت مراسيم الصلاة عليها، كما تمّ دفنها في مقبرة القرية بين جمع حاشد من الأقارب والأصدقاء والمعزين، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ونحن إذ نعزي أبناءها وأفراد عائلتها، نتضرع إلى الله تعالى أن يغطيها بواسع رحمته، ويغفر لها زلاتها، ويسكنها جنات عالية، ويلهم الجميع الصبر والسلوان .

٣- أخت الشيخ سعيد مرتضى الندوي إلى رحمة الله تعالى

كما أن أخت الشيخ السيد سعيد مرتضى الندوي السيدة طاهرة زوجة السيد محمد قاسم بن السيد محمد سالم الحسني الرائبريلوي انتقلت إلى رحمة الله تعالى بعد ما عاشت مدة، مريضة طريحة الفراش، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ونحن إذ نعزي فضيلة الشيخ السيد سعيد مرتضى الندوي وجميع أعضاء

عائلته على هذا الحادث المؤلم، نبتهل إلى الله تعالى أن يتناولها بواسع رحمته ويغفرلها تقصيراتها ويسكنها جنات الفردوس، ويلهم الجميع الصبر والسلوان، وقد خلفت وراءها بنتين صغيرتين، حرسهما الله تعالى .

٤- والدة الشيخ فخر الدين طيب الندوي في ذمة الله تعالى

توفيت والدة الشيخ فخر الدين طيب الندوي أستاذ دار العلوم لندوة العلماء يوم الجمعة أول يوليو عام ٢٠١١م، وكانت بالغة من العمر ٨١ عاماً، وذلك في قريتها بمديرية باغلفور بولاية بيهار (الهند)، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ونحن إذ نعزي نجلها الأخ الفاضل الشيخ فخر الدين طيب الندوي على هذا الحادث الموجع، وندعو له بالصبر الجميل، نبتهل إلى الله تعالى أن يتغمدها الله بالرحمة الواسعة ويدخلها جنات عالية، ويُوفق أفراد العائلة جميعاً للدعاء والاستغفار لها، فإن الله سميع قريب مجيب .

٥- الأخ الفاضل عبد القادر باشا الباتكلي في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالأخ الكريم عبد القادر باشا الباتكلي شقيق فضيلة الشيخ عبد العزيز الندوي الباتكلي الأكبر، بعد معاناة من المرض والضعف في اليوم السابع من شهر رمضان عام ١٤٣٢هـ الموافق ٨/من شهر أغسطس سنة ٢٠١١م، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم يعيش في موطنه"بهتكل" مشغولاً بالأعمال التجارية، وكان الشقيق الأكبر لفضيلة الشيخ عبد العزيز الندوي الباتكلي (نائب مدير دار العلوم لندوة العلماء) وقد فوجئ بهذا النبأ المؤلم ، ولم يتمكن من السفر إلى بهتكل للحضور في مراسيمه الأخيرة، كما أن هذا النبأ كان مبعث حزن وألم كبيرين للأوساط الندوية .

ونحن إذ ندعو للراحل الفقيد، سائلين المولى عزوجل أن يرحمه ويغفر له ويدخله فسيح جناته، نتضرع إليه أن يلهم الشيخ عبد العزيز الندوي وجميع أفراد عائلته الصبر الجميل على هذا الحادث المفاجئ .

٦- والدة الشيخ رحمة الله الندوي النيبالي إلى رحمة الله تعالى

انتقلت إلى رحمة الله تعالى والدة الشيخ المفتي رحمة الله الندوي أحد أساتذة دار العلوم لندوة العلماء، وذلك في اليوم التاسع من شهر شعبان عام ١٤٣٢هـ المصادف اليوم العاشر من يوليو عام ٢٠١١م .

كانت الراحلة الكريمة من النساء الفضليات العابدات القانتات، كما أنها كانت سبباً لتعليم أبنائها التعليم الديني والإسلامي، الذين سوف لا يألون جهداً في الدعاء والاستغفار لها، ويكونون على ذكر دائم بمنتها التي أسدت إليهم.

رحمها الله رحمة واسعة وغفر لها ذنوبها، وأدخلها فسيح جناته، ويلهم الجميع الصبر والسلوان .

٧- الأخ العزيز القاضي عبيد الله الندوي الإندوري في ذمة الله تعالى

كان نبأ وفاة الأخ الكريم القاضي عبيد الله الندوي الإندوري مفاجأة مفجعة مؤلمة نزلت على الأوساط الندوية كصاعقة، فقد أخفقت جميع التدابير العلاجية الطبية فيه، ووقع المحذور ليلة الجمعة ١٠/ من شهر رمضان لعام ١٤٣٢هـ، الموافق ١١/ من شهر أغسطس عام ٢٠١١م، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان الراحل العزيز نجل فضيلة الشيخ محمد معين الندوي، نائب سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) رئيس ندوة العلماء العام السابق، وقد سبقه إلى الآخرة بمدة قليلة من وفاة العلامة الندوي يرحمه الله تعالى، وكان قد وفق إلى إنشاء مدرسة إسلامية دينية باسم "مدرسة الفلاح" في مدينة "إندور" لتعليم النشء الجديد والشباب، العلوم الإسلامية لتصحيح العقائد الإيمانية، فنالت إقبالا كبيراً من الجماهير المسلمة في المنطقة، ولما توفي فضيلة الشيخ محمد معين الندوي في عام ١٩٩٩م آلت مسؤولية المدرسة إلى نجله العزيز الحافظ عبيد الله الندوي الإندوري، فأدى المسؤولية بشيء كثير من البراعة، إلا أنه أصيب بمرض عضال منذ عام، فلم يأل هو وأهله في اتخاذ تدابير المعالجة بإشراف أطباء بارعين إلا أن الأجل لم يمهله، وبعد معاناة شديدة فاضت روحه إلى بارئها تبارك وتعالى.

كان حافظاً للقرآن الكريم يقرأه في صلوات التراويح كل عام، وقد تخرج من مرحلة العالمية في دار العلوم لندوة العلماء، فجمع بين الخيرين والحسنيين، وقد خلف وراءه أسرة حافلة من الأهل والأولاد والأخوة وذوي القربى.

تغمّده الله بواسع رحمته، وغفر له ذنوبه وزلاته، وأدخله جناته العالية، وألهم الجميع الصبر الجميل، ويخلفه من يكون أهلا لملء الفراغ الذي نشأ بوفاته، وخاصة فيما يتعلق بشؤون ونظام المدرسة، والله على كل شيء قدير.

٨- الشيخ محمد حسين الفتني في ذمة الله تعالى

تلقينا وفاة الشيخ محمد حسين الفتني الشقيق الأكبر للشيخ عبد القادر الندوي أستاذ الحديث بجامعة ندوة العلماء بلكناؤ الهند، وذلك في ١٤٣٢/٩/١٣هـ المصادف ٢٠١١/٨/١٤م، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان الراحل الكريم ينتمي إلى ولاية غجرات، وكان يعيش حياة دينية، ويحبّ العلم والعلماء، ويساهم في أعمال الخير والدعوة إلى الله، فاجأته المنية من غير مرض مسبق.

ونحن إذ نعزي فضيلة الشيخ عبد القادر الندوي على هذا المصاب، ندعو الله تعالى أن يغفر للراحل الكريم زلاته، ويرحمه رحمة واسعة، ويلهم أهله وذويه الصبر الجميل، فإنه نعم المولى ونعم النصير.

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٢٧٨٧٧١٠- ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
MOB.091-9415546882
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظ الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة: "البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٥٦ عاما بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها السابع والخمسين. والحمد لله. ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، ولاسيما بعد تضاعف أجرة البريد فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم:

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)